

لمحات من رؤى محمد عبده الإصلاحية في التربية والتعليم

بحث نشر في مجلة " مركز بابل للدراسات الإنسانية " - تصدر عن مركز
بابل للدراسات الحضارية والتأريخية - جامعة بابل ، في المجلد السادس
هذا العدد الأول - الصادر عام ٢٠١٥م



المدرس
أحمد سعد شلال المحاوييلي

١٤٣٥هـ

٢٠١٤م

كثرت في الآونة الأخيرة الدراسات " التاريخية - الأكاديمية " التي تناولت دراسة تاريخ مصر الحديث إبان حقبة القرن التاسع عشر الميلادي في الجامعات العراقية ، وعلى الرغم من هذه الاستفاضة إلا أنها ينتابها شيء من الغموض ليس في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عهد العائلة الخديوية فحسب ، بل في مجال دراسة رواد حركة الإصلاح والتجديد الحديث وتأثير طروحاتهم في البلاد ، برز في هذا السياق الشيخ محمد عبده ، التي مثلت طروحاته ورؤاه الإصلاحية - التجديدية في مجال " التربية - التعليم " المصري ، وما أحدثتها في المؤسسة التعليمية كان لها الأثر الملموس والواضح على واقع هذا المجال في مصر ، حقيقة شكل هذا الدافع الأول في اختيار الموضوع .

عُدَّ الشيخ محمد عبده في مصر خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين من الرياديين ممن أثروا بأفكارهم وتوجهاتهم الإصلاحية في أوساط شرائح المجتمع المصري عامة ، والشريحة المثقفة وعلى وجه الخصوص " الأكاديميين - التربويين " تارة ، ورغد الحركة " الثقافية - الفكرية " في مصر من خلال نتاجاته " الفكرية - الإصلاحية - الدينية " غرضون هذه الحقبة تارة أخرى ، ومثل هذا الأمر دافعاً ثانياً في اختيار الموضوع .

شكل الأسلوب اللاذع والنقد البناء للشيخ محمد عبده لإصلاح إحدى المواطن " المحرمة - المقدسة " في المؤسسة الدينية في مصر إلا وهو " الجامع الأزهر " ، إذ أراد الباحث وبكل تواضع الوقوف على الرؤى الإصلاحية والنقد البناء للشيخ تجاه هذا الرمز المقدس ، وصنف هذا دافعاً ثالثاً في اختيار الموضوع .

تكونت هذه الدراسة من أربعة محاور تسبقها مقدمة وتُعقبها خاتمة ، درس المحور الأول :- **المعنون بـ " رؤاه الإصلاحية في التربية " ، الرؤى الإصلاحية للشيخ محمد عبده تجاه التربية على اعتبار إن تربية التلميذ المصري تربية صالحة الأخلاق تؤهله من اختيار العلوم والصنائع ما يشاء ، فيبرع فيه بكل رغبة وغيره ، إما إذ كان التلميذ ذو تربية فاسدة الأخلاق لا ينال العلم من أي نوع كان ، بمعنى آخر التأكيد على التربية الدينية " الإسلامية " للتلميذ ، في الفينة عرف المحور الثاني :- بـ " أفكاره الإصلاحية في التعليم " ، ركز فيه الشيخ محمد عبده على تعليم التلميذ المصري بشتى صنوف العلوم والفنون مع امتزاج تلك العلوم بالتعاليم الدينية وآدابها ، بعد تقسيم التعليم في المجتمع المصري على ثلاث طبقات قاصداً من ذلك أشرباب قلوب المتعلمين حب الدين وتوقير ، لإن التدريس في اغلب العلوم المتقدمة ، وخصوصاً في الأخلاق والآداب ترسل المعاني إلى القلوب لتزهها وتستغفرها من مقام الخمول والغفلة إلى مقامات التنبيه والبصيرة ، وأهتم المحور الثالث :- **المرصون بـ " الشيخ محمد عبده ونظارة المعارف العمومية " ، في بيان وجهة نظر الشيخ محمد عبده تجاه نظارة المعارف تارة ، وسعيه الحثيث لإصلاحها تارة أخرى ، لان قوامها وإصلاحها يؤدي إلى إصلاح التربية والتعليم في مصر ، على اعتبار أنها تمثل رأس الهرم في العملية التعليمية ، سلط المحور الرابع : **والموسوم بـ " المؤسسات التعليمية الرسمية والأهلية في نظر الشيخ محمد عبده " ، الضوء على التوجهات والرؤى الإصلاحية للشيخ محمد عبده نحو المدارس الحكومية والأهلية والمدارس الإسلامية والجامع الأزهر ، وبيان مواضع الضعف والخلل فيها ، وإبداء الحلول الناجعة لها .******

نهل الباحث مصادر الدراسة من خطب ومقالات ورسائل الشيخ محمد عبده من طرف ، ومن ثنايا سلسلة الأعمال الكاملة له والمكونة من خمس أجزاء ، وعلى وجه الخصوص الجزء الثالث الذي تضمن بين دفتي الإصلاح " الفكري - التربوي " من طرف آخر ، إلى جانب ذلك أنتشل الباحث معلوماته من متون الرسائل الأكاديمية والكتب العربية ، وتعزيزها بـ " التراجم - المعاجم - الموسوعات - الدوريات (الجرائد - المجلات) " الصادرة في مصر آنذاك ، وأخص بالذكر الدوريات التي تقوم بنشر خطب وتقرء بعض من صفحاتها لمقالات الشيخ محمد عبده كجريدة " الوقائع

المصرية " ، ومجلة " المنار " ، كلاهما حملت بين طياتها رؤى وأفكار " إصلاحية - تجديدية " للشيخ في واقع التربية والتعليم في مصر وغيرها ، دورها في إغناء وأستقصاء متن البحث .
وعلى الرغم من ذلك وضع الباحث جهده المتواضع هذا أمام السادة المقومين لبيان معلوماتهم وإيضاحاتهم التي ما هي إلا دعم وسند لترصين البحث .

والله من وراء القصد

الباحث

لمحات من رؤى محمد عبده الإصلاحية في التربية والتعليم

شكل الإصلاح الاجتماعي هاجساً كبيراً ضرب إطنابه بعمق في نفس الشيخ محمد عبده^(١) ، إذ مثلت توجهاته ورواه الإصلاحية في التربية والتعليم إحدى مظاهر الإصلاح الاجتماعي في مصر ، فعمل على دراسة المجتمع المصري كدعامة أساسية في هذا المسار الذي اختطه لنفسه ، حيث وجد وبعد دراسة طويلة ومعقدة العديد من المفاصل والإمراض المزمنة التي أصابت التربية والتعليم ، مما ينوء بها المجتمع والفرد المصري على حد سواء تارة ، ومتصدياً لمعرفة أسبابها ودوافعها والمحاولة في وضع الحلول الناجعة لها تارة أخرى ، والذي يمكن إيضاحه من خلال المحاور الآتية :-

المحور الأول : رؤاه الإصلاحية في التربية

تشدد الحاجة إلى تربية الفرد في زمن الترشق الفكري والتدافع السياسي ، الذي دفع الشيخ محمد عبده إلى الاهتمام والتأكيد على التربية في المدارس المصرية ، وبيان الهدف الأساسي من تشكيلها والعناية بالتعليم من أجل تربية العقول والنفوس ، بهذا الخصوص ذكر ما نصه :-

" من المعلوم إن الغرض الحقيقي من تأسيس المدارس والعناية بالتعليم فيها ، إنما هو تربية العقول والنفوس ، وإيصالها إلى حد يمكن المتربي من نيل كمال السعادة أو معظمها ما دام حياً وبعد موته "^(٢).

أستطرد الشيخ محمد عبده عن مفهومي تربية " العقول - النفوس " ، إذ أشار إلى الأول : " تربية العقول " من أجل إخراجها من حيز البساطة الصرفة والخلو من المعلومات والتصورات والاعتقادات الرديئة ، وتحليلها بتصورات ومعلومات صحيحة تمكنها من التمييز بين الخير والشر والضر والنافع ، ويكون لنور العقل نفوذ تام فاصل بين طيبات الأشياء وخبائثها ، والثانية : " تربية النفوس " لإيجاد الملكات والصفات الفاضلة في النفس وأبعادها عن الصفات الرذيلة ، حتى يكون المتحلي بها ناشئاً على ما يوافق قواعد علم الاجتماع^(٣) الإنساني ولوازمه^(٤).

في ضوء ما تقدم ، ربط الشيخ محمد عبده التعليم والحصول على العلم بسلوك الشخص وتربية نفسه ، وما تتحلى بها من صفات صالحة وطالحة ، بهذا المحط تقوه قائلاً :-

" إن كان الإنسان يتحلى بصفات تربية العقول والنفوس فإنه يختار العلوم والصنائع ما يشاء ، يبرع فيه بكل رغبة وغيره ، إما إن كان الشخص ضعيف الإدراك^(٥) أو فاسد الأخلاق لا تغني عنه العلوم شيئاً ، ولا ينال العلم من أي نوع كان حقيقية إلا بعد تحلي النفس بالصفات الجميلة منها كحب الكمال وغيره ، الذي هو الداعي الحقيقي إلى طلب العلم والبراعة فيه "^(٦).

دعا الشيخ محمد عبده إلى تربية الإنسان منذ طفولته على التعاليم الدينية الخالصة ، لما لها من الأثر في تربيته في المدارس ، وفي موضع آخر بين النمط التي تسير عليها التربية في المدارس المصرية ، إذ أورد ما نصه :-

" أول مبدأ لتربية الإنسان على التعاليم الدينية الصحيحة ترغيب القلوب بما يرضى الخالق عز وجل ، بحيث لو ذكر أسم الله خفق قلبه واضطربت جوارحه خشية منه ورهبة ، فإن الطفل في صغره وببل الشباب في أول بلوغه إن يفهم مضار الأشياء ومنافعها ، وخصوصاً فيما يتعلق بالصفات النفسانية التي يكثر فيها التضارب ، ويستحسن منها عند شخص ما ويستقبح عند آخر وبالعكس ، وعليه تعويد الأبدان على العبادة ، وتذكر جلال الله بالركوع والسجود ، ومعرفة العقائد الدينية السليمة ،

فيكون بذلك سبباً لإقدامه على ما يرضيه من الفضائل ، ونفرتة عما يغضبه من الرذائل ، فهذه أسهل الطرق وأقربها للتربية في المدارس" (٧).

في ضوء ما سلف ، أستحسن الشيخ محمد عبده نمط التربية في المدارس الأوربية وناشد الأخذ بطريقتها للوصول لمطاف الأمم المتمدنة في تعاليمها ، بهذا الخصوص نطق قائلاً :-

" طالما تشوقت النفوس لأن تكون التربية في المدارس على النمط المفيد ، الذي عولت عليه جميع الأمم المتمدنة في مبادئ تعاليمها ، من تتبع قوانين التعليم في الممالك الاورباوية (٨) ، التي تراها بأسرها موجبة للابتداء بالتعاليم الدينية ، والاستمرار عليها إلى ما يزيد ست سنوات تقريباً" (٩).

الشيخ محمد عبده رأى من الأفضل من لغة الاتهامات والأكرام من حوار المهارات ، إن يصار إلى تلقي فكرة التربية ومفهومها بروح عالية من المسؤولية ، بهذا المحط جاء فيه :-

" إن الإنسان لا يكون أنساناً إلا بالتربية ، وليست هي إلا عبارة عن إتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الإحكام والحكم والتعاليم ، وتعلم الإنسان الصدق والأمانة ومحبة نفسه ، فإذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره ، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه ، وأحس في نفسه أنه سعيد بوجود الآخر معه ... ، ونحن بأشد الفقر: فقر العقول والتربية " (١٠).

المحور الثاني : أفكاره الإصلاحية في التعليم (١١)

حث القرآن الكريم على العلم والتعلم وإرشاد البشرية وآياته تستشهد بذلك لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٣) وغيرها من آيات الذكر الحكيم (١٤) ، والنقطة الحساسة التي تجدر الإشارة إليها هنا ، إن الشيخ محمد عبده بين تأثير التعليم في الدين والعقيدة ، ولأهمية ذلك وبكل تواضع أقنيس الباحث ما نصه :-

" نرى أرياب المذاهب (١٥) والأديان منتشرين في كل جهة ، يطالبون في أنتشار مذاهبهم وبث معتقداتهم بكل ما يمكنهم من الوسائل ، فمنهم يستعمل الخطابة والوعظ ، ومن يستعمل الكتابة والتصنيف ، والآخر من ينشئ المدارس للتعاليم ، والقسم الأخير هو الأكثر عدداً والآنجح سعي ، لان العقول في الصغر ساذجة والأذهان خالية قابلة للتأثير ، وخصوصاً إذا كان جميع ذلك صادر من الأستاذ والمؤدب والمربي ، الذين يغذون عقل التلميذ وروحه بغذاء علومهم ومعارفهم ، فلا ريب إن تؤثر فيه أحوالهم وأعمالهم فأيا كان آباؤه وإسلافه الأولون ، وإن خالفت مذاهب آباء التلاميذ ولا شك في تحول مذهب التلميذ وانحرافه إلى مذهبهم " (١٦) .

أستشهد الشيخ محمد عبده بجملة من الأمثلة في هذا الخصوص ، وعلى سبيل المثال لا الحصر التعليم في مدرسة الأمريكان البروتستانتية والذين روجوا بين التلاميذ كتب مذهبهم ، وإذ طال بهم زمن التعليم في المدرسة فلا شك في إن عقائدهم تتحول بالتدريج من المذهب الكاثوليكي (١٧) أو الدين الإسلامي إلى المذهب البروتستانتية (١٨) بتأثير كتب التمرين والإملاء والمطالعة وغيرها ، وبرز في هذا السياق احد أولاد مصطفى المنشاوي وأسمه أحمد فهمي الذي

تربى وتعلم في هذه المدرسة ، وبعد مضي ثماني عشرة من عمره اظهر التمهيد بـ " المذهب البروتستانتي " ، ودعا أبائه وإخوانه إلى موافقته على عقيدته الجديدة وأنتهى الأمر بفقدان الأب أبنه ^(١٩).

تساوقاً مع ذلك ، فإن الشيخ محمد عبده رسم معالم الطريق القويم والسليم للإبلاء للسير نحو الحفاظ على دين ومذهب أبنائهم في هكذا مدارس وغيرها ، ما مفاده :-

" فمن الواجب على كل شخص يخاف على دينه أو مذهبه سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو غير ذلك ، إلا يبعث بأولاده وهم صغار لا يعقلون ولا يفهمون ، إلا ما يلقي عليهم من المعلم والمؤدب ، إلى المدارس التي تتولى التعليم فيها ليس على مذهبه أو دينه ، ومن تساهل في ذلك تغير اعتقاد أبنائه وانقلبت مذاهبهم إلى مذاهب أخرى ، وإما من لا يلتزم اعتقاداً خاصاً ولا يرى لنفسه مذهباً معيناً ، فله إن يرسل أولاده في أي سن إلى أي مدرسة ، وإن كل صاحب اعتقاد يخاف عليه ويحرص على بقاءه ويجب ذلك لأولاده ونسله ، فأول واجب عليه تمكين اعتقاده ومذهبه في عقول أولاده ، وبحفظهم عن مخالطة من يخالفه في العقيدة وهم في سن الصغر ، فإذا بلغوا رشدهم وعقلوا عقائدهم ، وصاروا في أمن من تأثير أفكار الغير فيهم ، فلا بأس بإطلاق سراحهم يعاشرون من شاءوا ويستفيدون العلم ممن يريدون " ^(٢٠).

ومن هنا ينبغي القول ، إن الشيخ محمد عبده شخص معالم التعليم الديني في إوساط المجتمع بعد إن قسم التعليم في مصر الى ثلاث طبقات ^(٢١) وآلية التدريس وموادها في كل طبقة ، وهي على النحو التالي ^(٢٢):-

الأولى : طبقة " العامة " : من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم ، وعرف الشيخ محمد عبده التعليم فيها بـ " التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين " ، وهم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشيء من الحساب ، وأولئك كتلامذة المدارس العسكرية والحكومية ، لأن هم الدولة فيهم إن يكونوا في قيادة الطاعة ، ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم ^(٢٣) ، ومن الكتب التي تودع في بدايات تعليمهم مواقد الحمية ونشأة الإسلام هي على الوجه الآتي ^(٢٤):-

❖ كتاب مختصر في " العقائد الإسلامية " المتفق عليه وبلا تعرض للخلاف بين المذاهب الإسلامية ^(٢٥) مطلقاً ، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

❖ كتاب مختصر في " الحلال - الحرام " من الأعمال وبيان الاختلافات الخبيثة والصفات الطيبة ، مستدلاً فيه بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (ص) ، ويكون مدار الكتاب لإفهام المتعلم بأن الإنسان إنما خلق ليكون عبد الله .

❖ كتاب مختصر في " التاريخ " يحتوي على مجمل سيرة النبي محمد (ص) وأصحابه ، من وجه ما تحلى به من أخلاق كريمة وأعمال عظيمة مع الإمام بالسبب في تسلط الإسلام على الأمم .

الثانية : طبقة " الساسة " : ممن تعاطى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ، ومن تعلق بهم ومأموري الإدارة على اختلاف مراتبهم ، والشيخ محمد عبده سمى التعليم فيها بـ " التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف " ، وهم أبناء المسلمين الذين أنتظموا في المدارس الحكومية والعسكرية والطبية وما يتلوهما ، وهم الدولة منهم إن يكونوا أمناء لها ، حفاظاً لما أستمحظوا عليه من شؤونها ، كالجندى منهم حامل لنفسه سيفاً يضرب به حتى الموت أو النصر ، والمحكم منهم فاصل في الخصومات وقابض على ميزان

- العدالة وغيرهما ، فهذه الطبقة بعد ان تشارك الطبقة الأولى في مبدأ التعليم الديني يزداد لها كتب أعلى من سابقها^(٢٦)، ومن الكتب التي تدرس لهذه الطبقة هي^(٢٧) :-
- ❖ كتاب يكون " مقدمة " للعلوم ، يحتوي على المهم في فن المنطق^(٢٨) وأصول النظر ، وشيء من آداب الجدل^(٢٩).
 - ❖ كتاب في " العقائد " يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي ، مع التزام التوسط ومجانبة الخلاف بين المذاهب الإسلامية وغاية السعادة الأخروية .
 - ❖ كتاب يفصل فيه " الحلال - الحرام " و " أبواب " الفضائل والردائل وبيان أكمل مما في البداية^(٣٠)، لغرض رفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الإمعالي الأمور .
 - ❖ كتاب " تأريخ - ديني " يبين بشكل مفصل سيرة الرسول محمد (ص) وأصحابه ، والفتوحات الإسلامية^(٣١) في القرون المختلفة ، مع أيداع فيه العبادات التي تحرك القلوب الى طلب المفقود وحفظ الموجود ، وتبسيط فيه أسباب التقدم الإسلامي بأدق مما كان في الطبقة الأولى .
 - الثالثة : طبقة " العلماء " : من أهل الإرشاد والتربية ، وعنون الشيخ محمد عبده التعليم في هذه الطبقة بـ " التعليم الديني العالي لطبقة المعلمين والمرشدين " ، وهم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين ، وتخلقهم بالصفات المقصودة بوضعها من اجل الأرتقاء بهم بالدرجة العليا في العلم والعمل ليكونوا عرفاء الأمة ، فينأط بهم التعليم الديني لإهل طبقتهم^(٣٢)، ومن الكتب التي تقرر لهذه الطبقة هي^(٣٣) :-
 - ❖ كتاب في تفسير^(٣٤) " القرآن الكريم " ، من أجل فهمه وما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة ، لإن سر نجاح المسلمين مطالعة كتب التفسير ، على سبيل المثال لا الحصر تفسير " الكشاف " ^(٣٥) و " القمي النيسابوري " ^(٣٦).
 - ❖ كتاب في " اللغة العربية " ، من نحو وصرف ومعان وما تبع ذلك ليتمكن من فهم القرآن الكريم والحديث^(٣٧).
 - ❖ كتاب في " الحديث " ، على شرط إن يؤخذ مفسراً للقرآن الكريم ومبيناً له ، والإجتهاد^(٣٨) لإرجاع الأحاديث الصحيحة إليه إن كان ظاهرها يوهم المخالفة .
 - ❖ كتاب في " الأخلاق والآداب الدينية " ، بتفصيل تام وأحاطة كاملة بها .
 - ❖ كتاب في " أصول الفقه " ^(٣٩)، مع الاستشهاد بالنصوص الشرعية في فهم الأحكام .
 - ❖ كتاب في " التأريخ القديم - الحديث " ، ويدخل في ذلك سيرة الرسول محمد (ص) وأصحابه بالتفصيل، وتأريخ الثورات التي تعرضت لها الدول الإسلامية ، لبيان إن لا سبب لذلك إلا الجهل بالدين والانحراف عن أحكامه .
 - ❖ كتاب في " الخطابة - الإقناع " و " أصول الجدل " ، لغرض التمكن من تقرير المعاني في الأذهان وتثبيت العقائد في النفوس .
 - ❖ كتاب في " الكلام " ^(٤٠) والنظر في " العقائد " و " أختلاف المذاهب " والبحث في أدلة الكل لا لتحصيل العقيدة ، ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي .

تأسيساً على كل ذلك ، أوجب الشيخ محمد عبده طالب كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث أمتحان يؤديه ، ثم لا تعطى له شهادة ببلوغه الغاية من علومها وتأهله للتدريس إلا بعد أداء الأمتحان الشديد في العلوم " الكتب " المتقدمة سلفاً ، والبحث الكامل عن سيرته وأحواله وأعماله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين هما : " العلم " و " العمل " ^(٤١).

تحدث الشيخ محمد عبده في ضوء هذه المعايير عن الهدف الأساس من التدريس في تلك الطبقات الثلاث ،

قائلاً :-

" إن التدريس في تلك الطبقات الثلاث ، إنما يقصد منه أشرب القلوب حب الدين وتوقيره ، وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل ، ولهذا يجب إن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة وخصوصاً في الأخلاق والآداب ، التي ترسل المعاني إلى القلوب لتزهها وتستنفرها من مقام الخمول والغفلة إلى مقامات التنبيه والبصيرة ، مع مراعاة أصول المعلمين وإعمالهم ، والتأكيد على القائمون بالتعليم على أكمل الصفات العقلية وأفضل الأعمال النفسية " ^(٤٢).

صحيح ، إن بعض الأمور تستوجب التوقف والجدية واللغة الصارمة أزاء التعليم ، إذ إن الشيخ محمد عبده عمل

على ذلك ودب في السير على هذا المنوال ، لأهمية ذلك نفتبس ما ذكره :-

" إن الحكومة لا تنفق على التعليم إلا قليلاً مع إن وسعها إنفاق أكثر ، ولا تنفك عن زيادة أجور التعليم التي تتقاضاها من الناس على تعليم أولادهم من حين إلى حين ، وصارت تربية الأولاد عبئاً ثقيلاً حتى على أوساط الناس ، وأمسى التعليم زخرفاً لا يتسنى التحلي به إلا في بيوت الأغنياء ، ومن المبادئ التي تجري عليها بأن لا يحق لأولاد في نوع ما من التعليم ويحق لأخر ، إن الوالد يخصص جزءاً من دخله لتربية أولاده ، ويراقب ولده في التعليم مراقبة فعلية ، لكن يستنتج من هذا إن التعليم المجاني يكون عقيماً ... ، لم تمنع من إن تنتج عدداً من الرجال المتعلمين تعليماً حقيقاً ، ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غبر من الاختبار في مصر ، وما حضر من الاعتبار بأوروبا ، ما دام الذين بيدهم مقاليد الأمر مصممين على إلا يقبلوا إلا ما يهديهم إليه فكرهم " ^(٤٣).

وأنطلاقاً من هكذا منطلق ، لخص الشيخ محمد عبده خطة الدولة وفلسفتها ^(٤٤) التي لا تحيد عنها تجاه التعليم

المصري ، هي ^(٤٥) :-

١- مساعدة التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بـ " الكتاتيب " ، حيث تعلم الكتابة والقراءة وقواعد الحساب .

٢- التقليل من نشر التعليم في الأمة ما أمكن .

٣- حصر التعليم الثانوي والعالي في أضيق الدوائر .

المحور الثالث : الشيخ محمد عبده ونظارة المعارف العمومية ^(٤٦)

شملت التوجهات الإصلاحية للشيخ محمد عبده في التربية والتعليم نظارة المعارف العمومية في مصر ، إذ طالبها بتوجيه عنايتها بالتعاليم الدينية والأهتمام بشأن المعلمين والنظارة ، وعدم أهملها كما أهملوها في سابق الأمر ، وعلى الرغم من سير النظارة على هذا المنوال إلا إن الشيخ محمد عبده اشاد بذلك ودعا الى إصلاحها على أحسن وجه ،

قائلاً :-

" الآن رينا نظارة المعارف العمومية وجهت عنايتها إلى التعاليم الدينية ، وإلا يهملوها كما أهملوها في السابق ، حتى أوجبت الأساتذة أن يقوموا برسوم العبادة إمام التلاميذ ، فلها الشكر على هذا

المقصد الحسن ، ولا تكون هذه العبادات والتعليمات الدينية صوراً يابسة لا روح فيها ، بل يجب أن تكون معنوية حقيقية تخرق حجاب الغفلة ، وتبعث في الأشخاص روحاً من الحياة يشهد أثره الناس ، وعلى نظارة المعارف إن تلاحظ التعليمات الدينية التي يليقها المعلمون ، حتى لا تكون محشوة بأنواع من التخريف المضاد لحقيقة الدين ، لأن ذلك يخل بالمقصد من التربية ويضر بتقدم التلميذ في كثير من الفنون التي يلزمه تحصيلها " (٤٧).

في ضوء ما تقدم ، أقدمت نظارة المعارف العمومية على إصدار منشورا في عام ١٨٨٠ إلى جميع المدارس ، تحت فيه على السير قدماً في مجال التربية والتعليم وفق التوجهات والرؤى الإصلاحية للشيخ محمد عبده ، ولأهمية ما ذكر في هذا المنشور نفتبس ما نصه :-

" إن بعض المدارس لم يحصل فيها الإعتناء بتعليم قواعد الإسلام ، وإن معرفة قواعده بالنسبة إلى أطفال المسلمين من أهم ما يلزم الاعتناء به ، ولا يجوز إغفاله في أي حال من الأحوال مطلقاً ، فيلزم تدريسها للتلاميذ لمعرفة خوجات القرآن الكريم مع حسن تفهيمها لهم ، بحيث يحفظونها عن ظهر قلب ، ويفهمون معناها فهماً جيداً ، وعلى ناظر المدرسة (٤٨) ترتيب أوقات الدروس على وجه يوجد فيه وقت لأداء الصلاة ، مع الحث على أدائها جماعة في المحل المعد للصلاة بالمدرسة ، إذا كان موجوداً أو في مسجد قريب ، إذ ولم يكن بالمدرسة محل للصلاة ، ولم يوجد مسجد قريب على ناظر المدرسة المبادرة بالعرض الى الديوان لتحديد محل لذلك ، وأداء الصلاة في حوش (٤٩) المدرسة مؤقتاً ، ولهذا حضرتم للإجراء على الوجه المشروح بغاية الاهتمام ، والحذر من التهاون فيه بعد الآن " (٥٠).

وبهذه الصورة الدقيقة والحساسة ، تمكن الشيخ محمد عبده من نقل تصورات ورؤى المصريين نحو نظارة المعارف العمومية ، التي تمثلت في توجيه آمالهم إليها على اعتبار أنها ذات شأن كبير ووسيلة من وسائل الاتصال بالدول المجاورة والمتقدمة ، ما مفاده :-

" إن المدارس ينبوع الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ، وأفتتحت المدارس (٥١) في عهد محمد علي باشا (٥٢) ، ولكن كان اسمها غريباً على الأذان وحشياً عن القلوب ، يساق الناس إليها ككأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٥٣) ، لأنهم يضمنون إن الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية ، والدخول في العسكرية هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم ، ولما روعوا للكاتب من المكانة عند الحكام والتصرف بالحقوق ، أكتفوا بإرسال أبنائهم إلى الكتبة يعلمونهم ، حتى إذا كبروا أنظموا في سلوكهم ، وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة إلى مدرسة " (٥٤).

في ضوء ما مر ، تطرق الشيخ محمد عبده عن رغبة المصريين في أفتتاح المدارس الليلية (٥٥) من قبل نظارة المعارف العمومية ، وكيف أنها تعمل على أذابة الجهل والجهالة في أوساط المجتمع المصري ، وعلى الرغم من فتح المدارس من قبل النظارة إلا إن الأهالي تفاجئوا بشروط التقديم والقبول ولغة التدريس فيها ، ما نصه :-

" في أيامنا هذه تنبعت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف ، ولهم شوق تام إلى كسب فضيلة العلم ، لأن أحوالهم لا تساعدهم في الرجوع إلى التعليم في المدارس ، مما يؤدي إلى تعطيل أسباب معاشهم ، فيود كثير منهم إن تكون في البلاد مدارس ليلية يتذكرون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة ، إذ أنهم فرحوا وأستبشروا لما سمعوا بأن نظارة المعارف تروم أفتتاح

مدرسة ليلية ، وقالوا : نعمة من الله سيقت ألينا ، ثم أنقبضت نفوسهم عندما سمعوا شروط تلك المدرسة ، من ضمنها تكون دروسها باللغة الفرنسية^(٥٦) خاصة ، ولا يقبل فيها إلا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات ، وقالوا : يا سبحان الله ! ، إن المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية ، وتحاشي ذكر الألفاظ والمصطلحات الغريبة أو العسرة التفهم^(٥٧) .

رد الشيخ محمد عبده بكل عنف وقوة على الإجراءات التعسفية المشروطة بالقبول والتدريس في المدارس الليلية من قبل نظارة المعارف العمومية ، جاء فيه :-

"لم نسمع إن أمة متقدمة أفتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية ، لما عدل عن هذه الطريقة الجليلة في بلادنا وأخترت طريقة جديدة ، وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد ، والعلوم التي تقرأ بها عالية لا ابتدائية ؟ ! ، حتى يحرم الناس من فضيلة العلم ، وهل يقال بأننا تقدمنا عن تلك البلدان المتقدمة ، فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم ، وكثير من أهل العلم كان يود إن ينتظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاتته تحصيلها ، ولكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية ، وكون الدروس فوق البدايات ، وأننا وحق الحق لفي حاجة كلية إلى إن يكون التعليم الليلي عندنا مستديماً أخذاً من البداية ، سهل الوسائل ميسر الأسباب ، وبلغة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل ويبطل برهان الكاسل ، ونرى لا بد إن يكون التعليم الليلي إجبارياً عاماً لكل مستخدم وقارئ لم يتعلم " ^(٥٨).

جدير بالملاحظة في هذا السياق ، خاطب الشيخ محمد عبده نظارة المعارف العمومية لتتخذ على عاتقها إصلاح المدرسة الليلية التي افتتحتها وأساليب ولغة تدريسها ، قائلاً :-

"إن نظارة المعارف قد أهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية ، لتكون عامة النفع شاملة الفوائد ، يذهب إليها الرجال الذين شغلهم الكسب وضرورات المعاشية نهائياً عن التعليم ، ويكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا ، ويقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصراً على تعلم اللغة لا غير ، إما دروس اللغة العربية التي منها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة أو منها ما يكون في بعض علوم أخر نافعة من آداب وتأريخ أحوال الأمم ، وبأفتتاح هذه المدرسة تقحم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا إلى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها ، وتقحم المخاصمين وتوجه الهمم إلى التعلم ، وإفراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم " ^(٥٩).

ثمة قضية أخرى جديرة بالإشارة عند الشيخ محمد عبده بخصوص المدرسة الليلية ، إلا وهي تشخيص الفارق والتفاوت والأختلاف بين المدرسة الليلية التي تدرس العلوم بها باللغة الفرنسية أو كما اطلق عليها مدرسة " الخواجات الليلية " ، والمدرسة الليلية التي يكون التدريس فيها باللغة العربية ، ولأهمية ذلك أرثى الباحث أدراجها بالجدول ادناه .

جدول يوضح الفارق بين مدرسة الخواجات الليلية والمدرسة الليلية التي دعا إليها الشيخ محمد عبده (١٠).

التسلسل	مدرسة الخواجات الليلية	المدرسة الليلية
١	يكون التدريس فيها باللغة الفرنسية	يكون التدريس فيها باللغة العربية
٢	كتبها ومفرداتها وفق النمط الفرنسي	كتبها ومفرداتها أمتزاج بين العربية والفرنسية
٣	لا تجعل من اللغة العربية ضمن مفرداتها	تجعل من اللغة الفرنسية ضمن مفردات تدريسها
٤	لغة التعليم وفلسفته أجنبية	لغة التعليم وفلسفته وطنية
٥	تأخذ العلوم في تدريسها من النهايات	تأخذ العلوم في تدريسها من البدايات
٦	اختصار نفعها على الأجانب	معظم نفعها بل كله للوطنيين " المصريين "
٧	لا تتوسم فيها الروح الوطنية	تتوسم فيها الروح الوطنية

لعل أكثر ما ينبغي الحرص عليه عند الشيخ محمد عبده أثناء تدافع الآراء وتراشق الأفكار والرؤى في واقع التربية والتعليم في مصر ، وتقديم المال والمحسوبية في القبول والحصول على التعلم في المدارس لتمطي عجلة الرقي العلمي ومستجداته ، تمثل في مناشدة نظارة المعارف العمومية بالإعتناء بهذا المجال وتوسع مؤسساتها لتلبية حاجات الآباء وذوي الرغبة التعليمية من ميسوري المعيشة في البلاد أولاً ، ومشاهداته في توارد الآباء والأمهات على النظارة لتسجيل أبنائهم في مدارسها وقبولهم مجاناً ثانياً ، والأنكى من ذلك أستغرابه من جواب النظارة ثالثاً ، في ضوء ذلك قال :-

" يشق على الإنسان إن يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والأمهات على نظارة المعارف ، يقودون صغارهم إليها سائلين التصديق عليهم بقبولهم مجاناً في مدارسها ، معتذرين بفقرتهم ومدلين بما يكون بعض أفراد أهلهم قد أدوه إلى الحكومة من الخدم ، مؤملين على الدوام إن العناية الإلهية والمرحمة القلبية تلين صلابة ذلك المبدأ ولو مرة واحدة ، ولكنهم يضطرون في آخر الأمر إلى الرجوع إلى بيوتهم أو قراهم خائبين خائري العزائم غير راضين ، لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الأبناء ، يقولون لنا (١١) : إن بين ظهرانكم أغنياء في وسعهم إنشاء مدارس مجانية للفقراء ... آه وأأسفاه !! " (١٢).

عندما نشرت نظارة المعارف العمومية منشوراً لها في شهر كانون الأول من عام ١٨٨٠ تخاطب به جميع فروعها في مصر ، توجب معلمي المدارس بوجوب التفاتهم لوظائفهم وقيامهم بواجباتهم ، على أثر ذلك طرح الأهالي جملة من الأسئلة تاتي في قيدوم ذلك (١٣) :-

- ١- هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الأمتحان أجتهدهم من النظارة والمدرسين ؟ .
 - ٢- هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظارة والأساتذة ؟ .
 - ٣- هل دقت نظارة المعارف في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية ، مثلاً ليست سهلة المآخذ على التلامذة وموافقة لطريقة التعليم في المدارس ؟ .
- مهما يكن من أمر ، أنبرى الشيخ محمد عبده في الإجابة على أسئلهات الأهالي بدلا من نظارة المعارف العمومية ، جاء فيه :-

"بأن نظارة المعارف هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك ، وإنها لا تغفل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً ، ومن اليقين إنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة ، وتعلم إن زماننا هذا لا يرى فيه إلا الأثر الظاهر ، ولا يؤثر عن رجالها الأعمال الحقيقية ، وإما صدور الأوامر والنطق بالألفاظ العالية بدون ترتيب فقد مضى وقته ، وإن الآمال متعلقة برجال تلك النظارة العرفاء الإجلاء أمثال عبد الله باشا فكري^(٦٤) وعلي بك فهمي ، وسنرى من إعمالهم ما يرفع جميع الأوهام ، ويفسح للمعارف في عصرنا هذا تاريخاً جديداً " (٦٥) .

المحور الرابع : المؤسسات التعليمية الرسمية والأهلية في نظر الشيخ محمد عبده

قبل أستفحال الخطأ وتجذر الزلل ليصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ولإسيما في المؤسسات التعليمية كالمدارس بأنواعها الرسمية والأهلية ، التي أصابها الترهل والأنجرار أو الأستدراج في مفاهيم وعلوم خارجة عن نطاق الدين الإسلامي الحنيف في نظر الشيخ محمد عبده ، إذ تارة تلاحظه يتسارع الى أقتلاعها من الجذر ، وتارة أخرى تقويمها وإصلاحها بشتى الوسائل والطرق ، ومن هذه المدارس هي :-

أولاً : المدارس الأميرية

فعم الشيخ محمد عبده عقل كل قارئ ومهتم عن حقيقة التربية والتعليم في هذه المدارس وتأريخ تأسيسها ، بهذا المحط أورد ما نصه :-

"المدارس الأميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة ، أنشأها محمد علي باشا بإشارة من الفرنسيون لتعليم أولاد الأرئوط^(٦٦) والأتراك " العثمانيين " ، ليكون منهم رجال عندهم إلمام ببعض الفنون كالطب والهندسة والترجمة المحتاج إليها في نظام الحكومة ولم يشترط إن يكون العلم تاماً ، إما التربية على أخلاق سليمة لم تخطر له ولا لمن تولى إدارتها ، إذ أدخل فيها بعض المصريين جبراً^(٦٧)، وكان دخولهم أشبه بدخول العسكرية في ثقله عليهم ، ثم جاء خلف محمد علي عباس^(٦٨) وسعيد^(٦٩)، فأهملا النظر فيها بالمرّة ، حتى جاء إسماعيل^(٧٠) فوسع نظامها وزاد فيها المعارف ، غير إن جميع ما أتاه من المعارف كان صورياً ، ليقال إن له في حكومته مثل ما لأوروبا في حكومتها ، ولم يكن القصد منه تربية العقول ولا تهذيب النفوس ، إما أذهان التلامذة لم تجد فيها غاية لتعلمهم سوى إن يعيشوا كمن عاش غيرهم ، بمجرد تعلمهم ما يؤهلهم للقيام بإعمال الحكومة لا غير ، ولو أستفرغنا أذهان المعلمين لم تجد فيها من المقاصد سوى أنهم يلقون ما يجدونه في الكتب المقررة للتلاميذ ويطالبونهم بحفظه ، ولا يسألونهم مرة واحدة عن مجال أفكارهم هل هو صالح أو فاسد ؟ ، وإنما هو رسم يؤديه المعلمون ليأخذوا مرتباتهم الشهرية لا غير ، ويكونون في آخر الأمر إلا صناعاً أو ناطقين ببعض الألسنة ، فإن أستمر السير على الطريقة المعروفة الآن كانت النتيجة دائماً رعايا غير صالحين " (٧١) .

ثانياً : المدارس الابتدائية " الرسمية " (٧٢)

صحيح إن الحقيقة مرة ، وفي النصح لسع العقارب ... ، ولكن المكاشفة المؤلمة أفضل من الخداع الناعم ، والنصيحة الصادقة أفضل من التغافل الأبلّة ، والنقد البناء أصلح من التمرير والمداجاة والتزلف ، في ضوء ذلك ذهب

الشيخ محمد عبده الى تشخيص مواضع الفساد والعجز وتفسخ الاخلاق وتدني مستوى التعليم في المدارس الابتدائية تارة ، ووضع الحلول وأبطال المفاصد وبيان الهدف من تردد أبناء مصر لهذه المدارس تارة أخرى ، في هذا الخصوص نطق قائلًا :-

" قصد تلامذة هذه المدارس من تعليمهم التوصل إلى خدمة الحكومة سواء نالوا ما قصدوا أم لا ، فإذا رجع الولد إلى أبيه بعد نهاية مدة الدراسة فيها عارفاً ببعض مبادئ العلوم التي لا يجد لها موضعاً تستعمل فيه ، ثم إنه يعود بأخلاق أشد فساداً من أخلاق الذين بقوا بدون تعليم ، فتزداد أخلاقه فساداً وأفكاره اختلالاً ، ويكون زيادة في إمراض البلاد بدل إن يكون عضواً نافعاً لها ، فأول ما يجب إصلاحه في هذه المدارس إدخال مبادئ العلوم من وجهها العملي الذي ينطبق على المعاملات الجارية في البلاد ، كمعرفة قواعد الحساب وطرق تحصيل الأموال للحكومة ، وفن الأوزان والمكاييل وفن الهندسة^(٧٣)، ومعاملات العقود والصكوك وغيرها ، مع تخصيص يوم واحد في الأسبوع لتعلم التلامذة على بعض الأعمال الزراعية^(٧٤) والصناعية^(٧٥)، وتعلمهم مبادئ العقائد الدينية وأصول آدابها ، وتشديد المراقبة عليهم في ذلك ، ووضع لائحة مخصوصة تحدد فيها طرق التعليم وملاحظة إعمالهم وأخلاقهم ، وإذا أتم التلميذ مدة المدرسة الابتدائية نفع ونمت فيه الأخلاق الصالحة ، والأفكار الحسنة وانطبع قلبه على الخير والسلامة ، وكان له بصيرة في الأمور الجارية بدون منفذ للدسائس والوساوس^(٧٦) .

ثالثاً : المدارس التجهيزية^(٧٧) والعالية^(٧٨)

إذا تصفحنا آراء الشيخ محمد عبده الإصلاحية نستشف رؤى جديدة غير التي تطرق لها في خصوص المدارس المصرية ، وهي تمثل أجراً صحيحة نقدية تقحمت هذا المنعطف ، من خلال التركيز على التربية وتهذيب الفكر ، وغرس مبدأ الإصلاح في نفوس تلامذة المدارس التجهيزية والعالية ، بهذا المجال قال :-

" كلامي في هذه المدارس منحصر بالتربية وتهذيب الفكر ، وغرس مبدأ الإصلاح في نفوس التلامذة ليجسّدوا في أفعالهم ما تعلموا ، وتلاحظ إن التربية في هذه المدارس مفقودة لا يخطر ببال أحد إن يعتني بها عناية حقيقية ، وإنما الموجود فيها صور ورسوم تغر الناظر ، وهي بمعزل عن الحقيقة ، ويجب تأسيس التربية فيها على تعليم العقائد الدينية على الأصل الصحيح ، وإلزام التلامذة في تصرفهم بموافقة ما تعلموا ، وزيادة التوسع في تعليم الآداب الدينية ، وعلى المعلم إن يودع في أفكارهم فكرة القيام بالإعمال مما يطالب به الدين ، لتمكن التلميذ من معرفة ما يقوم به من الأعمال لها علاقة بحياته الروحانية ، كما له علاقة بحياته الجسدية ، ويكون بذلك عضواً صالحاً ، ويقوم بينه وبين الدسائس حجاب منيع من الاستقامة الفكرية والخلقية ، حتى لو إن التلميذ بعد ذلك حمله الشطط^(٧٩) في الفكر على خلع العقيدة الدينية ، بقيت فيه ملكات الأخلاق الفاضلة طبيعة ثابتة لا تبدل بتبدل العقيدة^(٨٠) .

رابعاً : المدارس الأهلية

ركز الشيخ محمد عبده جهوده الإصلاحية نحو المدارس الأهلية ، لأنها تعد المغذي الأساس لجميع المدارس في مصر ، وإذا فسد الغذاء فسدت المدارس ، وناشده بأن تناط مهمة إصلاح هذه المدارس الأهلية لنظارة المعارف العمومية ، إضافة الى ذلك بين طبيعته أساتذتها ومستواهم " المعرفي - العلمي " ، تأسيساً على كل ذلك قال :-

" على نظارة المعارف العمومية إن توجه العناية إلى هذه المدارس المنتشرة في القرى والمدن ، لأنها هي المغذي للمدارس المنتظمة التابعة للنظارة ، فإذا كان الغذاء فاسداً كان المزاج المتغذي اشد فساداً ، ولكن من الوجه التعليمي إصلاح الأمكنة بحيث تكون أوفق للصحة ، والمعلمون في تلك المدارس يسمون أنفسهم بالفقهاء ، وهم لا يعرفون شيئاً سوى حفظ القرآن لفظاً بغير معنى ، وإذا كان في أذهانهم شيء باسم الدين فما هو إلا الزائد الضار دون الأصل النافع ، وعلى الرغم من يرد عليها أبناء الأهالي جميعاً إلا أنها تنبت إلا جهلاً " (٨١).

إمام هذا التخلف المفجع والتحجر الأسود رسم الشيخ محمد عبده ملامح العلاج لهذا الوضع الرديء والدنيء في المدارس الأهلية ، موداه :-

" لا يمكن إصلاح تلك المدارس إلا بإصلاح معلميها " الفقهاء " أو إبدالهم بخير منهم أو توجيه العناية إليهم ، وإصلاح طرق تعليمهم بالتدرج في بضع سنين ، ويستدعي هذا الإصلاح عملاً يتعلق بعضه بالمعارف (٨٢) وبعضه بالأوقاف (٨٣) ، لأن أولئك المعلمين خطباء مساجد في الأغلب ، فلا بد إن ينظر في انتخابهم من المستعدين للفهم وقبول الإصلاح ، وهو يقتضي سعيًا حثيثاً وتدقيقاً شديداً وسيراً في أرض مصر أجمعها ، حتى إذا خرج التلميذ من المدرسة كان شاعراً بأنه في أي جمعية محكومة أو دخل مدرسة أو الجامع الأزهر (٨٤) كان نماء معلوماته على ذلك الأساس ، مع الأخذ في تحديد الطريقة التي يتعلم بها الفقهاء هذه الأمور ، والمكان الذي يتعلمون فيه ، والوقت الذي يخصص لذلك ، والمعلم الذي يعلمه ، ثم تقرير العلاقة بين أولئك الفقهاء وبين إدارة الأوقاف ونظارة المعارف " (٨٥).

خامساً : المدارس العسكرية (٨٦)

مما هو جدير بالأهتمام والمتابعة عند الشيخ محمد عبده لواقع التربية والتعليم في المدارس المصرية عموماً والمدارس العسكرية خصوصاً ، دفعه إلى تقديم رؤية إصلاحية نحوها عندما رأى خلوها من التعاليم الدينية والأخلاق الفاضلة ، وهم تلامذتها في توسعة معيشتهم بأي وسيلة سواء كانت " حلال " أم " حرام " ، بهذا المحط تفوه قائلًا :-

" رأينا كثيراً من قرعوا العلوم في المدارس العسكرية خلوها من الدين وجهالاً بعقائده ، منكبين على الشهوات وسفساف (٨٧) الملذات ، ولا يخشون الله في سر ولا جهر ، ولا يراعون له حكماً في خير ولا شر ، وأنحط بهم ذلك إلى الكلب في الكسب ، والأنصاب على طلب التوسعة في العيش ، بدون ملاحظة فيه حلالها أو حرامها وطيباً أو خبيثاً ، فإذا دعوا إلى الدفاع عن الملة (٨٨) والدولة ركنوا إلى الراحة ، ومالوا إلى الخيانة ، وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأي وسيلة " (٨٩).

سادساً : المدارس الأجنبية (٩٠)

حذر الشيخ محمد عبده من الأعمال والممارسات التي تقوم بها هذه المدارس من مخالفة أحكام الشرع الإسلامي من جانب ، مما تحدثه من خدش وجرح عقيدة التلميذ المسلم من جانب آخر ، في ضوء ذلك أورد ما نصه:-

" لا ترى بقعة من البقاع إلا وفيها مدرسة أجنبية ، والمسلمون لا يستكفون من إرسال أولادهم إلى تلك المدارس ، طمعاً في تعليمهم بعض العلوم المضنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوروبية ، والتي يحسبون أنها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم ، وأولئك يدخلون إلى تلك المدارس في سن السذاجة وحرارة الصبا والحدثا ، ولا يسمعون إلا ما يناقض عقائد الدين الإسلامي ، ولا يرون إلا ما يخالف إحكام الشرع المحمدي (ص) ، وبيل لا يطرق إسماعهم إلا ما يزرى على دينهم وعقائدهم ، ويتلقون من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة ، فلا تنقضي سنو تعليمهم إلا وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامي ، وأصبحوا كفاراً تحت حجاب أسم الإسلام ، ولا يقف الأمر عند ذلك ، بل تعقد قلوبهم على محبة الأجانب ، ويكونون طوعاً لهم فيما يريدون منهم ، فيصرون بذلك ويلا على الأمة ورزية على الدولة ، لو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم مع استبقائهم مسلمين في العقيدة " (٩١).

لعل أكثر ما ينبغي الحرص عليه عند الشيخ محمد عبده من هذه المدارس وحقيقتها ، لما لها من الأثر في أوساط المجتمع المصري وخدش عقيدة المسلم أولاً ، وراداً على كل من زعم بان المدارس الأجنبية لها الأثر السياسي والادبي في مصر ثانياً ، وأوضح السبل الكفيلة لأبناء التلامذة المسلمين في الوقوف بوجه ما تفوه به المعلم في هذه المدارس وبالأخص في زعزعة عقيدة التلميذ المسلم ثالثاً ، وعلى سبيل المثال لا الحصر مواكبة الأبناء في تقديم النصح والأرشاد من أجل الحفاظ على عقيدة الأبناء ، لإهمية ذلك نفتتس ما ذكره :-

"وعلى تنوع المدارس الأجنبية ، وأختلاف المذاهب بين المتعلمين في الأغلب يضعف أثر تلك المدارس من التربية العمومية ، فقليل من المصريين من يرغب في تعلم أولاده فيها ، ومن أرسل بولده إليها ، وداوم نصيحته بعدم الالتفات إلى ما يقوله المعلمون فيها حفظاً لاعتقاده ، لأنها تحدث الاضطراب في طبيعة الفكر والتزلزل في الأخلاق ، وما يكون ضررها أكثر من نفعها ، وغلط من زعم إن لتلك المدارس الأجنبية أثراً سياسياً أو أدبياً في مصر ، بل أنها أحدثت بعض النفرة في قلوب المسلمين من رؤساء تلك المدارس وأممهم ، فهي ضارة بالآلفة ومبعدة للمحبة ، فلا يصح الاكتفاء بها في التربية " (٩٢).

سابعا : المدارس الدينية والجامع الأزهر (٩٣)

أطلع الشيخ محمد عبده كل مهتم وواعي لمعرفة حقيقة المدارس الدينية في مصر ، مفادها :- "أنها خالية من التعليم الديني جملة أو مشتملة على شيء منه ، لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر ، وطريقة التدريس فيها صورية ، لا تعد سوى حفظ العبادات والجهل بالمدلولات " (٩٤)، وأستطرد الشيخ محمد عبده في بيان معالم هذه المدارس ، قائلاً :- "فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شملا المسلمين على أختلاف طبقاتهم إلا من عصم الله وهم قليلون ، وإذا أستقرينا أحوال المسلمين للبحث عن الأسباب لو جدنا سبباً واحداً إلا وهو القصور في التعليم الديني " (٩٥).

تأسيساً على كل ذلك ، لا بد من النظر بان الشيخ محمد عبده أكد على التربية والتعليم معاً في المدارس الدينية ، نطق ما نصه :-

"إن التعليم إذا لم يبنى على عقائد صحيحة ، وإيمان صادق لا تلبث إن تضمحل ، لنن ثبت فإنما تسوق إلى أعمال خالية عن النيات وخاوية من سر الإخلاص ، ولذا فلا بد من تربية تذكر بما تنال النفس وأخلاقها المهلك منها كالكذب والخيانة والنميمة والحسد وسائر الرذائل ، والمنجي منها كالصدق والأمانة والشجاعة وسائر الفضائل ، ويضم إلى ذلك باقي مسائل الحلال والحرام ، ويكون التعليم والتربية على وفق هذه الفنون ، وإسنادها إلى الشرع المقدس ... هو المطلوب" (٩٦).

تحدث الشيخ محمد عبده عن واقع التعليم ومستوى تدريس الأساتذة ، وأستيعاب الطلاب في الجامع الأزهر ، بالإضافة إلى ذلك شخص مواضع الضعف والخلل ووضع الحلول الناجعة ، وإصلاح الجامع الأزهر من جميع مكوناته " الدينية - العلمية " و" الاخلاقية - السلوكية " ، إذ قال :-

"مما يؤسف عليه إن الجامع الأزهر لا نظام فيه للدروس ، ولا يسال فيها التلميذ أيام الطلب عن شيء من أعماله ، ولا يبالي أستاذة حضر عنده في الدرس أم غاب ، فهم أم لم يفهم صلحت أخلاقه أم فسدت ، ويمر عليه الزمان الطويل لا يسمع فيه نصيحة من أستاذة تعود عليه بالإصلاح في دنياه أو دينه ، وإنما يسمع منه ما يملأ القلب بغضاً ويطبق على ذهن غفلته ، ويتعلمون من الدين إلا بعض المسائل الفقهية وطرفاً من العقائد ، وإصلاح مدرسة (٩٧) الأزهر لا بد إن يكون بالتدرج في تغيير نظام الدروس ، وجعلها في الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة ، بحيث يقرر فيها حضور الطلبة للدروس وفق الجدول المقرر ، وتغير الدروس بإضافة أصناف من الكتب كإدخال تدريس الآداب الدينية ، وتكلف الأستاذ بتعهد أخلاق تلميذه لتكون منطبقة على تلك الآداب ، وجعل شيخ الجامع رقيباً على الأساتذة والتلامذة ، ثم يعدل نظام الامتحان النهائي وشروطه ، وكل ذلك يكون على طرق بسيطة ، لا تستلغ الأذهان إلى شيء خلاف المصلحة " (٩٨) .

وعلى الرغم من التصادفات والعراقيل التي وضعت أمام الشيخ محمد عبده لإصلاح الجامع الأزهر وتطوير مسيرته " الدينية - العلمية " ، إلا إنه كان على يقين تام من القدرة على تذليل العقبات وإصلاحه واضطلع به هذا المضمار ، ولتوضيح ذلك أورد ما نصه :-

"إن نفسي توجهت إلى إصلاح الأزهر منذ إن كنت مجاوراً فيه ، وحاولت إقناع الشيخ محمد الأنابى بشيء لم يصادف قبولا ، كتدريس مقدمة (٩٩) ابن خلدون (١٠٠) في الأزهر ؟! ، ووصفت له من فوائدها ما شاء الله إن أصف ، فقال : إن العادة لم تجر بذلك ... ثم سكت ، وإن بقائه متداعياً على حاله في هذا العصر محال ، إما إن يعمر أو يتم خرابه ، وإنني أبذل جهد المستطيع في عمرانه ، وإن دفعتني الصوارف إلى اليأس من إصلاحه ، فإنني لا إياس من الإصلاح الإسلامي ، واختار أفراداً وأربابهم على طريقة التصوف (١٠١) ، وألف كتاباً في بيان حقيقة الأزهر ، وأمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ، ومبلغ علومه وتأثيرهم في الوجود ، وانشره باللغة العربية ولغة إنجليزية ؛ حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجهلها الناس حتى أهله " (١٠٢).

تكملة لحديث الشيخ محمد عبده عن الموضوع الآنف الذكر ، أدرج للقارئ الكريم محاوره بينه وبين أحد شيوخ

الجامع الأزهر المعروف بـ" الشيخ محمد البحيري " ، ما نصها :-

" الشيخ محمد البحيري : إننا نعلمهم كما تعلمنا .

الشيخ محمد عبده : وهذا الذي أخاف منه !! .

الشيخ محمد البحيري : ألم تتعلم أنت في الأزهر ، وقد بلغت من مراقي العلم وصرت فيه العلم الفرد؟! .

الشيخ محمد عبده : إذا كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكر ، فإنني لم أحصله إلا بعد إن مكثت عشر سنين أكس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر ، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة !! " (١٠٣) .

يستوضح من هذه المحاور الجديرة بالقراءة والأهتمام والمتابعة والتأمل من قبل المهتمين لإصلاح الجامع الأزهر ، معرفة حقيقته وما تخفيه جدرانه من العلوم والمستوى " العلمي - الديني " لشيوخته ، إلا إن الشيخ محمد عبده بقى وحيداً وسط الميدان الجامع بين " الجهل - الظلمة " و " العلم - النور " بلا ناصر أو معين ، زد على ذلك أوجز موقفه من الجامع الأزهر ، أراء ذلك قال :-

" هأنذا ، كما تروني وحيد ليس لي من الأساتذة من يساعدي ، ولا من دعاة الخير من ينصروني ، أريد إن أعلم في هذا الجامع شيئاً نافعاً ، بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى ، التي هي أضر من الكتب القديمة والمؤلفة في القرون الوسطى ، ولكن هل أجد من يساعدي على ذلك ؟! ، وإن لم أجد ، فهل أفجح فيه وحدي ؟! " (١٠٤) .

الأمر الذي دعا ، الشيخ محمد عبده الى جعل نظام التدريس في الجامع الأزهر مرتبطاً بنظارة المعارف العمومية أو بإدارة الاوقاف المصرية ، وكل من ظن بأنه لا يمكن إصلاحه فقد توهم وظنه فاسد لا يؤيده دليل ، وبعد تغير الأحوال في البلاد أصبح الإصلاح فيه أهون منه في جميع المصالح ، ولكل رئيس في نظارة المعارف يمكنه إن يأتي بالإصلاح بمجرد التوجه إليه ، لإن الناس لا يختارون الجامع الأزهر إلا لسوء ظنهم بالمدارس ، وإذا إصلحت المدارس بات الناس كلهم في طريق واحد (١٠٥) .

ثامنا : مدرسة دار العلوم (١٠٦)

نتيجة لضمور الوعي وأنكماش العقل وتراجع لغة المنطق والدليل ، وشيوع التخلف وفساد التربية في مدرسة دار العلوم ، تصدى الشيخ محمد عبده بآرائه الإصلاحية الجريئة وأسلوبه اللاذع عن كشفها من طرف ، وبيان طرق معالجتها من طرف آخر ، ما مفاده :-

" مدرسة دار العلوم أبتدعها علي باشا مبارك (١٠٧) وشرط إن يكون تلامذتها من طلبة الجامع الأزهر ، وحصولهم من العلوم مبلغاً يؤهلهم للتدريس ، وجعل في دروس تلك المدرسة جميع ما كانوا يقرءونه في الجامع من العلوم الدينية ، وإطرافاً من العلوم الصناعية كالكيمياء والحساب والهندسة ، وشيئا من التاريخ والجغرافية ، ويكون التلميذ فيها صالحاً وأستاذاً في العلوم العربية والدينية في المدارس ، لكن جاءت على المدرسة أدواراً أسقطتها عن مرتبتها التي تنبغي لها ، ولم توضع فيها أساس للتربية ، ولهذا كان يخرج تلامذتها على ما كان عليه تلامذة غيرها من الأخلاق والأفكار ، وعلى الرغم من أنها انشأت أفراداً من أهل العلم والأدب لكنهم اقل عدداً مما كان ينتظر " (١٠٨) .

وبهذا الأسلوب اللاذع ، والمكاشفة الصريحة سجل الشيخ محمد عبده الهدف الأساس من إنشائها من وجه ، ومواقع الخلل والترهل والأنحدار " المعرفي - العلمي " لمعلمي مدرسة دار العلوم من وجه آخر ، ما نصه :-

"من غريب التصرف إن الغرض من إنشاء المدرسة إعداد أساتذة قادرين على التربية ، وعارفين بالعلوم الدينية والعربية حق المعرفة ، لكن في الحقيقة أساتذة جهالا بالدين واللغة العربية ، بل غير معتقدي بالدين ، ويعين فيها إلا من المعلمين من قاصداً معيشتهم ولا يحسن أداء ما كلف به ، والكل لا عناية له بأمر التربية ولا يهتمه فساد أخلاق التلامذة أو صلاحها ولا استقامة عقولهم ، ويؤدي سائر المعلمين العلوم نقلا عن الكتب لا يبنون للتلاميذ عن الغاية من تعلمها ... " (١٠٩).

بعد هذه الصيحات الجريئة من الشيخ محمد عبده فتح مغاليق الباب العلمي الصحيح لمعلمي وتلامذة مدرسة دار العلوم ، ووضع بعض النقاط على بعض الحروف من أجل جعل هذه المدرسة ينبوعاً للتهذيب النفسي والفكري والديني والخلقي ، حتى ينتهي بها الأمر لتحل محل الجامع الأزهر ، وتوحيد التربية والتعليم في مصر ، ومن هذه المنطلقات والمباني طرح رؤاه الإصلاحية ، وهي على النحو الآتي (١١٠) :-

- ١- حذف بعض العلوم التي أشتغل بها التلامذة في الجامع الأزهر ، والأكتفاء بتمرينهم على العمل بها ، وزيادة بعض العلوم كعلوم الآداب الدينية وتعلم فن أصولها .
- ٢- تغيير طريقة تدريس تفسير القرآن الكريم وتعلم الأحاديث النبوية .
- ٣- اختيار معلمين صالحين للقيام بالعمل الموصل إلى الغاية المطلوبة للمدرسة .
- ٤- تعيين ناظر (١١١) للمدرسة قد ملأ قلبه وغمر فكره الميل إلى المقصد الذي وضعت له المدرسة ، وعالماً بالدين ولغته .

- ٥- اعطاء تلامذتها بعد نهاية التعليم حق التدريس في الجامع الأزهر .
- ٦- توسيعها إلى ما يسع مئة تلميذ .
- ٧- إن يزداد في مدتها سنة بعد الدراسة للتمرين على التعليم في نفس المدرسة .
- ٨- إن يكون التلاميذ تحت نظام شديد في التهذيب وملازمة العمل بما يعلمون .
- ٩- إن تكون وظائف التدريس في المدارس منحصرة فيهم .
- ١٠- أن تكون درجتهم في الوظائف على حسب أدبهم وأقذارهم على التأديب .
- ١١- إن يكون للموظف منها في مدرسة ما سلطة تامة على تهذيب التلامذة ، وتربية نفوسهم وتقويم أخلاقهم وطباعهم وأرقاهم وظيفية في تلك المدرسة يكون رئيساً لمن دونه .
- ١٢- إن يبقوا بلباسهم الذي هو لباس أهل الدين مهما ترقوا في الوظائف .

ومن هذه المنطلقات لرؤى الشيخ محمد عبده الإصلاحية ، ألزم هذا المشروع الإصلاحي مدرسة دار العلوم كتب تؤول جديدة ولوائح تنظم للعمل على مقتضاها ، وتدبير نفقات التعليم فيها ، وبعد اليقين بأن هذا الإصلاح يؤول إلى تمكن الحكومة وجعل الرعية صالحة ، لإن التربية هي الحصن الحقيقي للبلاد " مصر " الذي يصونها من جيش الفساد (١١٢) .

تاسعا : مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية

أقدم الشيخ محمد عبده على إيضاح لكل من تلمس عقله بالوساوس والخرافات من صوب ، وتخطب الحقيقة وعدم وضوح الرؤى والمقاصد الرئيسية من تأسيس مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في كافة أنحاء مصر من صوب آخر ، إذ جاء فيه :-

"إن الغرض من ذلك تربية أولاد الفقراء من يتامى وغيرهم ، تربية يحافظون فيها على عقائدهم وآداب دينهم وأخلاقه وإعماله ، لأنها تعينهم على معيشتهم وتحصيل أرزاقهم ، وأهم مقاصدها إن تنزع من النفوس اعتقاد إن التعليم لا فائدة فيه إلا الاستخدام في الحكومة ، وتوطن نفوس التلامذة في مدارسها على إن يعمل الواحد منهم عمل أبيه بإتقان ، ويعيش مع الناس بالأمانة والاستقامة ، فولد النجار يكون نجاراً وولد الحداد يكون حداداً وغيرها ، والتربية والتعليم في مدارس الجمعية يساعدان على اتفاق عمله وصناعته ، وتساعد الجمعية بالمال من يتخرج من مدارسها ، وتشغله لصناعة والده مدة سنة ، وإنها تعلم التلامذة بأنهم لوالديهم وللاقربين وللأمة ، وأحترام آبائهم وأمهاتهم ، وتنزع من نفوسهم الميل إلى وظائف الحكومة " (١١٣) .

فلا غرو من إن تجد ، الشيخ محمد عبده موضح السبب الحقيقي وراء تحديد سن التسجيل والدخول للتلاميذ في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، مواده :-

"إن مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية لم تحدد سن التلميذ في نظامها عبثاً ولا تقليداً ، لكن حددته لفوائد سامية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر إذا دخل التلميذ المدرسة في سن الثامنة وأتم التعليم في أربع سنوات أو خمس تخرج منها غصاً رطيباً مهيناً للدخول في أي عمل ، وإذا تقدم في السن ودخل المدرسة بعد العاشرة عاقه ببس عوده عن إن يلين للأعمال الصناعية أو الزراعية ، وربما عجز أبوه عن أتمام تعليمه فأصبح بين عجزين " (١١٤) .

ذهب الشيخ محمد عبده إلى إن الإمة بحاجة إلى تربية الفرد وعلى وجه الخصوص الفقير من فئات المجتمع المصري ، وهي لا ترتقي وتسد إلا بذلك ، لإنهم هم الذين يقومون بمعظم الشؤون ، وأكثر الحرف التي لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا يهنأ لها عيش ما دام أصحابها فاسدي التربية وفاقدى الآداب ، وإن جرائم الخير التي تلقىها مدارس الجمعية الخيرية في نفوس التلامذة لا بد إن تنمو وتتغلب على جرائم الشر التي أصيبوا بها من البيئة التي عاشوا فيها ، لإن الحق دائماً قاهر الباطل والخير صارع الشر ، وهذه المدارس تهتم بحفظ التلامذة موضوعات في الدين وآدابه وأسرارها التي تبعث النفوس في العمل بإحكامه ، كبذرة وضعت في أرض صالحة تعاهدها الزمان بالسقي والتغذية حتى تنمر الثمرة الصالحة (١١٥) .

وفي نفس السياق ، أثنى الشيخ محمد عبده على الأسلوب والعلوم وطرق تدريس التلاميذ في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية من نحو ، ودعا جميع من تقع عليه مسؤولية التعليم والتربية في المدارس المصرية السير على نهجها والحدو نحوها كحدو النعل بالنعل ، ونبذ فكرة تدريس اللغات الأجنبية في هذه المدارس من نحو آخر ، ما مفاده :-

"إن مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولاد الفقراء ما لا بد منه لكل إنسان ، إن يحسن القراءة بلغة أمته ، ويعرف ما يجب عليه من إحكام دينه ، ويتربى عليه عملاً ، وشيئاً من الحساب والتأريخ وغيرها ، لمدة أربع سنين قبل تجاوز سن التلميذ الخمس عشرة سنة ، وليس عندنا لغة أجنبية ، لأننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات ، وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع ، وأحب إن يكون هذا التعليم عاماً في البلاد " (١١٦) .

بعد هذا الثناء والأستحسان من قبل الشيخ محمد عبده على مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، بين الأسباب التي تعول دون تطبيق أسلوبها وطرق تدريسها وبرامجها التعليمية على كافة المدارس المصرية ، وهي (١١٧) :-

١- إن رغبة الناس منصرفة إلى جعل التعليم ذريعة لأخذ الشهادة ، لإنها شرط للأستخدام في الحكومة ورغبة الناس في خدمة الحكومة ، ولعدم ثقة الناس بأنفسهم وجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضعف همتهم عن سلوكها ، يود كل واحد منهم إن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وإن كان قليلاً ، ولأستعمل مواهبه التي منحها الله إياها وكدح في طلب الرزق من طرقه الواسعة ، ولإسيما التجارة لجاز إن يكون من أهل الثراء الواسع .

٢- قلة المعلمين والمربين ، فأنا نحتاج في التعليم الابتدائي إلى من يبدئ التلميذ من السنة الأولى ، ولا تنتهي السنة إلا وهو يقرأ ويكتب ، والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون ، وعندما علنا في الجرائد " الصحف " بأننا نشكو من قلة المعلمين ، فجاءنا الراغبون بالعشرات فمتحناهم ونختار من نراه الأمثل ، ثم يتمرن على طريقتنا في المدرسة ، ومثل هؤلاء يجدر بنا إن نسميهم " معلمي الضرورة " .

في محط آخر ، فإن الشيخ محمد عبده كشف ملامح التربية والتعليم في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، ما نصه (١١٨):-

" تقوم مدارس الجمعية بعد إن تعلم المبتدئين القراءة والخط والحساب ومبادئ العربية على تربيتهم الأعمال الدينية والأدبية ، وتنشئتهم على الفضائل كالصدق والأمانة اللذين عليهما مدار السعادة ، والنهي عن الكذب والخيانة أشد النهي ، وهذا التعليم سلم يرتقي عليه الغني إلى التعليم العالي ، وجعل الفقير على مقربة من الغني في الفكر والخلق ، ولا يمكن الاستغناء عنه أحد حتى الحمار والحمال ، وجعل التلميذ مقروناً بكرامة النفس وهي قوام التربية " (١١٩).

الخاتمة

من النظرة الشاملة إلى الرؤى الإصلاحية للشيخ محمد عبده في مجال التربية والتعليم في مصر ، إنه كان صاحب نظرة مثالية غير واقعية في هذا المضمار ، معتقداً إن التربية هي العصا السحرية التي تغير كل شيء وتبدل كل سلب في أوساط المجتمع المصري فتجعله إيجابياً ، وساعياً إلى خلق المناخ الصالح للتربية والتعليم لمواجهة العقبات والمعوقات وتذويبها لتمكن مصر من اللحاق بالأمم المتقدمة والمتمدنة .

إن الإنسان المصري من وجهة نظر الشيخ محمد عبده إذا فقد التربية والتعليم فقد كل شيء ، ولن يستطع إن يتحلى بالعدل أو الغني أو الكمال إلا إذا كان مصقولاً بهما ، وعلق الشيخ محمد عبده آماله على الأغنياء دون الحكومة ونظار المعارف العمومية على اعتبار دورهم أعظم وأكبر من الحكومة ، لإنهم يمكن إن يبذلوا أموالهم في سبيل افتتاح المدارس وتوسع دوائر التعليم ، حتى تعم التربية وتنبت في البلاد جراثيم العقل والأدراك وتنمو روح الحق والإصلاح وتهذيب النفوس ، إما الحكومة عليها إن تسن قوانين التعليم ، ونظارة المعارف العمومية تلاحظ أحوال المعلمين والمتعلمين .

تناول الشيخ محمد عبده التربية والتعليم بالنقد والتحليل أرفع الخيوط التي تجمع بين العبرة مع العبرة ، إذ ناضل وجاهد وكافح من أجل إن تكون العملية التربوية بديلاً عن العمل السياسي ، ويمكن إن تنجح بعيداً عن التأثير بالعوامل السياسية ، متعجباً من النبهاء الذين لا يفرغون للتربية بدلاً من الأشتغال بالسياسية ، لإن أمر التربية كل شيء وعليه يبنى كل شيء ، وعلى سبيل المثال لا الحصر تدخل السيد جمال الدين الأفغاني في السياسية وتقربه من الحكام والسلاطين ، بدل من التفرغ وصرف وجهه للتعليم والتربية وإصلاحهما وأفادة الإسلام ، لما زحف الاستعمار بشتى أنواعه نحو مصر مستخدماً العديد من الأسلحة والوسائل ، كأثناء مدارس أجنبية ، وقف الشيخ محمد عبده بوجه هذا السلاح ونبذ وحذر من الانتساب والدخول فيها ، إلى جانب ذلك شهر سلاحاً حارب به الاستعمار إلا وهو سلاح التربية والتعليم ، ذلك السلاح المستند على الدين وآدابه وعقائده .

بناء على ما تقدم ، أكد الشيخ محمد عبده على دور الدين في التربية والتعليم إيضاحاً وتحديداً ، وإذا رجع أسباب الضعف والندهور في شتى أحوال المجتمع المصري سواء كانت اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ، لسبب واحد لا غير تمثل في عدم الأتفات إلى الدين وتعاليمه وآدابه ، والنفس إذا استكملت بآداب الدين عرفت مقامها من الوجود وأدركت منزلة الحق في صلاح العالم ، لإن كتب الدين حاوية لإصلاح المفاصد وتحصيل علومه فيها الكفاية لما فوق الغاية .

وما تجدر الإشارة إليه ، هو إن الشيخ محمد عبده كان داعية " تربية دينية " و " تعليم ديني " فقط لا غير ، لإنه فرق بين التعليم " الديني " والتعليم المؤسس على " مبادئ الدين " ، إذ كان داعياً على النوع الثاني أكثر من الأول ، وبدليل إن النموذج الذي حبذه وأسهم فيه كمدرسة " دار العلوم " وهي تعليم مدني تستجيب لظروف عصره وتقيم مع المبادئ الدينية الصلات التي ينبه على ضرورتها ، ويل كان له بالنسبة للتعليم الديني والمدارس الدينية آراء إصلاحية فيها أكثر ، لإنه تمنى إن يبلغ الإنسان من كل دين تعليماً مدنياً خالصاً ، وله أماكن خاصة به دون الأمتزاج مع المدارس الأخرى .

الأمر المؤسف رجل ومصلح ورائد من رواد حركة الإصلاح الحديث ، كالشيخ محمد عبده عمل على تقسيم التعليم على شكل طبقات ، بمعنى آخر من أنصار " طبقية " التعليم في مصر ، واضعاً لكل طبقة حدوداً تعليمية لا

تتعداها كل واحدة من الطبقات الثلاث ، الأمر الذي وسع دائرة رؤاه الإصلاحية في المدارس التي أنشأتها الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، كما ساهم في تشجيع ودعم هذه المدارس وطالب من أباء وأمهات إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس ، لإنها تمثل النموذج الوحيد والقيوم نحو تربية وتعليم أبنائهم على النهج الصحيح ، ومطالبة جميع المدارس في مصر للسير على نهج وعلوم وطرق التدريس في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، هذا مع العلم ، إن الشيخ محمد عبده دعا إلى إصلاح الجامع الأزهر من ناحية ، وتوجيه انتقاداته اللاذعة إليه من ناحية أخرى ، وبتعبير آخر ، ناشد نظارة المعارف العمومية للوقوف على أحوال التربية والتعليم في كافة المؤسسات التعليمية في مصر .

فحوى القول : إن الشيخ محمد عبده لخص رؤاه الإصلاحية في التربية والتعليم ، قائلا : " إن أمر التربية هو كل شيء وعليه يبني كل شيء ، وكل مفقود يفقد بفقد العلم ، وكل موجود يوجد بوجود العلم ، وأي إصلاح للشرق والشرقيين لا بد وإن تستند إلى الدين ، حتى يكون سهل القبول وشديد الرسوخ وعميق الجذور في نفوس الناس ، والتعليم طبقات ثلاث " العامة - الساسة - العلماء " ، ويجب تحديد ما يلزم لكل واحدة من هذه الطبقات من التعليم كما ونوعاً " .

- (١) الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) : عالم دين و فقيه و مجدد إسلامي مصري ، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي و من دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي ، ساهم بعد النقائه بالسيد جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري ، وإعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر... للأستزادة . ينظر: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، تحقيق وتقديم : الدكتور محمد عمارة ، ط٢ ، (مصر : دار الشروق ، ٢٠٠٦) ، ج١-٥ ؛ جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، ط٣ ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، د.ت) ، ص ٣٨٠-٣٩١ ؛ محمد مختار جمعة ، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ، (القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ٢٠١٤) ، ص ٩٦٩-٩٧١ ؛ العربي بن عمار ، تراجم المبدعين من علماء المسلمين ، (بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٧) ، ص ٤٠١-٤٠٨ ؛ محمد عمارة ، محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٨) .
- (٢) محمد عبده ، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية ، ((الوقائع المصرية)) ، (جريدة) ، القاهرة ، ٢٩ تشرين الثاني ١٨٨٠ ، العدد ٩٥٧ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٩ .
- (٣) علم الاجتماع : هو العلم الذي يختص بدراسة الحياة الاجتماعية للبشر، سواء بشكل مجموعات أو مجتمعات ، وقد عرّف أحياناً كدراسة التفاعلات الاجتماعية ، ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس ليس فقط كأفراد ، لكن كأعضاء جمعيات ومجموعات ومؤسسات ، وعلم الاجتماع يهتم بسلوكنا ككائنات اجتماعية ... للمزيد ينظر : اليكس انكلز ، مقدمة في علم الاجتماع ، ترجمة : محمد الجواهري وآخرون ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧) ؛ نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع نشأتها وتطورها ، ترجمة : محمود عوده وآخرون ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٢) ؛ محمد البدوي ، مبادئ علم الاجتماع ، ط٣ ، (الإسكندرية : دار المعرفة ، ١٩٩٦) ؛ غني ناصر حسين القرشي ، المداخل النظرية لعلم الاجتماع ، (عمان : دار صفا ، ٢٠١١) ، ص ٢٩-٣٦ .
- (٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٩ .
- (٥) الإدراك : في اللغة هو " للحاق والوصول " ، ويقال ادرك الشيء بلغ وقته وانتهى ، وادرك الشيء ببصره رآه ، وفي الفلسفة : هو " حصول صورة الشيء عند العقل " . ينظر: جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، (قم : مطبعة سليمانزاده ، ٢٠٠٦) ، ج١ ، ص ٥٣ .
- (٦) محمد عبده ، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٩ تشرين الثاني ١٨٨٠ ، العدد ٩٥٧ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٩-٣٠ .
- (٧) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٠ .
- (٨) قصد الشيخ محمد عبده الدول " الأوروبية " .
- (٩) محمد عبده ، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٩ تشرين الثاني ١٨٨٠ ، العدد ٩٥٧ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٠ .
- (١٠) محمد عبده ، التربية ، " المنار " ، (مجلة) ، مصر ، المجلد السادس والعشرين ، الجزء الأول ، ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٦ ، ص ٧٥٦-٧٥٧ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٦٧-١٦٨ .
- (١١) رزخ التعليم في مصر تحت الهيمنة البريطانية ، وبدا الاحتلال البريطاني منذ عام ١٨٨٢م التقليل من نفقات الدولة للتعليم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر انخفاض مخصصات التعليم من (٨٤,٠%) من ميزانية الدولة عام ١٨٨٢م إلى (٣٢,٠%) ، وإغلاق الكثير من المدارس ، وتفتير الاحتلال في إرسال البعثات العلمية إلى الخارج ، وتفتير إعداد المعلمين وعدم بذل المعونة في النهوض بالمدارس الأهلية ، والتي وضعت تحت الإشراف الاحتلال البريطاني وفي تقرير لها عام ١٩٠٤م إن (٨١,٠٠٠) تلميذ من مجموع (١٢٤,٠٠٠) تلميذ لم يتعلموا الكتابة وغيرها . للاطلاع على واقع التعليم في مصر من الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م إلى عشرينات القرن العشرين الميلادي . ينظر: جرجس سلامة ، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر (١٨٨٢-١٩٢٢) ، (القاهرة : مكتبة

الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦) ؛ أمين سامي ، التعليم في مصر ، (القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٩٦١) ؛ سليمان نسيم ، الأقباط والتعليم في مصر الحديثة ، تقديم ومراجعة : الأنبا غريغوريوس وعزيز **سوريال** عطية ، (القاهرة : مطبعة نهضة مصر ، د . ت) ؛ شبل بدران ، التعليم والتحديث دراسة في تاريخ ونظام التعليم في مصر ، (القاهرة : مكتبة المعارف الحديثة ، ١٩٨٤) ؛ صالح رضوان ، الأجانب والتعليم في مصر ١٨٤٩-١٩٧٩ ، " المؤرخ العربي " ، (مجلة) ، بغداد ، العدد (١٧) ، ١٩٨١ ، ص ١٥-٢٥ ؛ احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في مصر (د . م : مطبعة النصر ، ١٩٤٥) ؛ أميل فهمي ، التعليم والتحديث " دراسة وثائقية " ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧) .

(١٢) ((القرآن الكريم)) ، سورة التوبة ، آية : ١٢٢ .

(١٣) ((القرآن الكريم)) ، سورة المجادلة ، آية : ١١ .

(١٤) ومن الآيات التي وردت فيها كلمة " العلم " هي : ((القرآن الكريم)) ، سورة البقرة ، آية : ١٢٠ ، ١٤٥ ، ٢٤٧ ؛ سورة آل عمران ، آية : ٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٦١ ؛ سورة مريم ، آية : ٣٤ ؛ سورة الحج ، آية : ٥٤ ؛ سورة النمل ، آية : ٤٢ ؛ سورة القصص ، آية : ٨٠ ؛ سورة العنكبوت ، آية : ٤٩ ؛ سورة الروم ، آية : ٥٦ ؛ سورة سبأ ، آية : ٦ ؛ سورة غافر ، آية : ٨٣ ؛ سورة الشورى ، آية : ١٤ ؛ سورة الجاثية ، آية : ١٧ ؛ سورة الأحقاف ، آية : ٢٣ ؛ سورة محمد ، آية : ١٦ ؛ سورة الملك ، آية : ٢٦ ؛ سورة النجم ، آية : ٣٠ . (١٥) ومفردتها " مذهب " : يقصد به الطريقة والمعتقد الذي تذهب إليه ، وعند الفلاسفة يعني : " مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتناسكة " . ينظر : جميل صليبا ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦١ ؛ معن زيادة وآخرون ، الموسوعة الفلسفية العربية ، (بيروت : معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٦) ، مج١ ، ص ٧٣٩ .

(١٦) محمد عبده ، تأثير التعليم في الدين والعقيدة ، ((الوقائع المصرية)) ، ٩ آب ١٨٨١ ، العدد ١١٨٦ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٥٨ .

(١٧) **المذهب الكاثوليكي** : هي مجموع من المؤمنين والمؤسسات وعقائد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وأكبر طوائف الدين المسيحي ، وتقع مركزها في مدينة الفاتيكان ، مقر بابا الكاثوليك ، يتواجد أتباعها في كثير من دول العالم ، وخاصة في جنوب أوروبا وأمريكا اللاتينية ، وتحتوي في تعاليمها عشرة وصايا يقصد بها : " التعاليم الكنسية الرسمية في الكنيسة الكاثوليكية للوصايا العشر المذكورة في سفر الخروج (17-20) - سفر التثنية (21-25) " ، والتي تشكل جزءاً من العهد بين الرب وبنو إسرائيل ، ووفقاً لتعاليم المذهب الكاثوليكي تعد الوصايا العشر العمود الفقري لنمو روحي سليم ، والأساس لحياة اجتماعية عادلة . ينظر : محمد حسني يوسف ، موسوعة الفرق والمذاهب المسيحية ، (الجيزة : دار طيبة ، ٢٠١١) ، ص ١٥٤ .

(١٨) **المذهب البروتستانتي** : و " البروتستانت " هي كلمة معناها المحتجين ، هي أحد مذاهب الديانة المسيحية يتواجد نحو (٨٠٠) مليون بروتستانتي حول العالم ، نشأت على يد مارتن لوتر في ألمانيا ، وانشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر ، تنفرع منها العديد من الكنائس الأخرى تتراوح من (٢٨-٤٠) ألف كنيسة ، ومذهب البروتستانتية مذهب عدد من الدول الأوروبية . ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(١٩) محمد عبده ، تأثير التعليم في الدين والعقيدة ، ((الوقائع المصرية)) ، ٩ آب ١٨٨١ ، العدد ١١٨٦ . للاطلاع على المزيد من الأمثلة في هذا الجانب . ينظر : محمد عبده ، بقايا تأثير التعليم في العقيدة ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٤ آب ١٨٨١ ، العدد ١١٩٧ .

(٢٠) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦١ .

(٢١) مفردته " طبقة " : مفهوم اجتماعي وسياسي واقتصادي وإيديولوجي يشير إلى تصنيف حقيقي أو مفترض ضمن علم الاجتماع لفئات مجتمع ما ، على سبيل المثال لا الحصر طبقة " الإشراف - الأكليروس - عامة الشعب " وغيرها ... للمزيد ينظر : جوسان اندرية ، طبقات المجتمع ، ترجمة : محمد البدوي ، (القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٥٦) ؛ عبد القادر القصير ، الطبقة والبناء الطبقي في الريف والحضر ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩٧) ؛ دايفيد ج. روشكوف ، الطبقة الخارقة ، ترجمة : حنان محمد كسرواني ، (بيروت : شركة المطبوعات للطباعة والنشر ، ٢٠١١) .

(٢٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٨١-٨٨ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨١-٨٢ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨٢ .

(٢٥) لمعرفة المذاهب الإسلامية وتاريخها وعقائدها . ينظر: جعفر السبحاني ، الملل والنحل (المذاهب الإسلامية) ، ط٢ ، (قم : مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، ٢٠٠٦) ؛ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، د . ت) ؛ علي أكبر ضيائي ، مصادر الفرق الإسلامية ، (قم : مطبعة حافظ ، ١٩٩٥) ؛ عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، ط٣ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٨) ؛ شوقي أبو خليل ، اطلس الفرق والمذاهب الإسلامية ، (دمشق : دار الفكر ، ٢٠٠٩) ؛ أبي محمد علي احمد ابن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : يوسف البقاعي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٢) ، ج١-٣ ؛ محمد خليل الزين ، تاريخ الفرق الإسلامية ، ط٢ ، (بيروت : مطبعة الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٨٥) .

(٢٦) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٨٣ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨٣-٨٤ .

(٢٨) المنطق : في اللغة : " الكلام " ، وعند الفلاسفة هو " آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر " . ينظر: جميل صليبا ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٢٨ ؛ رائد الحيدري ، المقرر في توضيح المنطق ، (قم : مطبعة شريعت ، ٢٠٠١) ، ج١-٢-٣ ؛ محمد صنفور ، أساسيات المنطق ، (قم : مطبعة بهمن ، ٢٠٠٦) ؛ محمد رضا المظفر ، المنطق المظفر ، ط١٠ ، (قم : انتشارات الفيروزآبادي ، ١٩٩٢) ، ج١-٣ .

(٢٩) الجدل : جدل - جدلاً : أي اشتدت الخصومة وقوة القدرة عليها ، وقدرة الجدل " أحكام قتل الشيء " ، وجداله - مجادله ، وجدالا " ناقشة وخاصة " ، وترجع الى مصدر يوناني وهو " ديالكتيكا " ، وذكر أنها جاءت من الحوار والمناقشة . ينظر: معن زيادة وآخرون ، المصدر السابق ، مج١ ، ص ٣١٨ .

(٣٠) قصد الشيخ محمد عبده مرحلة " التعليم الديني الابتدائي " للطبقة الأولى .

(٣١) للأطلاع على تلك الفتوحات . ينظر: أحمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٨٦) ، ج١-٢ ؛ فرانثيسكو كيريبيلي ، محمد والفتوحات الإسلامية ، تعريب : الدكتور عبد الجبار ناجي ، (بيروت : منشورات دار الجمل ، ٢٠١١) ؛ علي سالم عبد الله حمد الجبوري ، دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي " دراسة تحليلية " ، (عمان : دار الحامد ، ٢٠١٢) .

(٣٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٨٤-٨٥ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨٥-٨٦ .

(٣٤) التفسير : هُوَ أَحَدُ عُلُومِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَيَشْتَمِلُ عَلَى مَعْرِفَةِ فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ الْمُزَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ (ص) ، وَبَيَانِ مَعَانِيهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ أَحْكَامِهِ وَحُكْمِهِ وَالْعُلُومِ الْمُوصَلَةِ بِالتَّفْسِيرِ هِيَ: اللُّغَةُ وَالصَّرْفُ، وَالنَّحْوُ، وَالْمَعْنَى، وَالْبَيَانُ، وَأَسْبَابُ التَّرْوِيلِ، وَالْقَصَصُ وَالنَّاسِخُ، وَالْمَنْسُوخُ . ينظر: معن زيادة وآخرون ، المصدر السابق ، مج١ ، ص ٢٨٩-٢٩٢ .

(٣٥) تفسير الكشاف : في الأصل أسمه بـ" تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل " ، مؤلفه أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي المعتزلي ، مكون من أربع مجلدات ، حاوي على تفسير لسور القرآن الكريم . ينظر: أبو القاسم محمود عمر محمد الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، ط٥ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩) ، مج١-٤ .

(٣٦) تفسير القمي النيسابوري : مؤلفه أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي النيسابوري ، شامل في تفسير سور القرآن الكريم . ينظر: أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي النيسابوري ، تفسير القمي النيسابوري ، تحقيق : لجنة من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ٢٠٠٧) .

(٣٧) الحديث : يطلق على الحديث عدة اصطلاحات، فمنها " السنة - الخبر - الأثر " ، فالحديث من حيث اللغة هو: الجديد من الأشياء ، والسنة في اللغة هي: السيرة والطريق القويم ، والخبر يأتي على القليل والكثير ، والجمع أحاديث ، فالحديث : هو: الكلام الذي يتحدث به وينقل بالصوت والكتابة ، والخبر هو: النبأ وجمعه أخبار وهو: العلم ، والأثر هو: بقية الشيء والجمع آثار ، ومن هنا فإن الحديث يتزادف مع الخبر والأثر من حيث اللغة ، أما اصطلاحاً، فإن الحديث هو: ما ينسب إلى رسول الله محمد (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو وصف ، وهو على انواع منها " قدسي " و" متواتر " وغيرها ... للمزيد . ينظر: عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري ،

دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠) ، ج٢ ، ص ١١-١٢ ؛ محمد ابو زهو ، الحديث والمحدثون ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت) ؛ سردار دميرل ، علم الحديث بين أهل السنة والشيعة الإمامية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٣) ؛ أبو عمر عثمان عبد الرحمن الشهرزوري ، علوم الحديث ، تحقيق : نور الدين عتر ، (المدينة المنورة : المكتبة العلمية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) ؛ محمد ضاري حمادي ، الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، (بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٩) ؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق : معظم حسين ، (بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ١٩٣٥) .

(٣٨) **الأجتهاد** : لغة : " بذل الوسع والمجهود " ، مأخوذ من الجهد (بضم الجيم) ، وهو " الطاقة " كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ ، وعبرة عن " استقراغ الوسع في أي فعل كان " ، وأما الاجتهاد في اصطلاح الأصوليين فهو : " بذل المجهود في العلم بأحكام الشرع " ... **للتفاصيل** . ينظر : معن زيادة ، المصدر السابق ، مج١ ، ص ٢٣ ؛ عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٤ ؛ أبي الحسن البغدادي ، الاجتهاد والتقليد ، تحقيق : السيد يوسف احمد ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٣) ؛ عبد الرؤوف محمد أمين الإندونيسي ، الاجتهاد وتأثره وتأثيره في فقهي المقاصد والواقع ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠١٣) ؛ يوسف القرضاوي ، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، ط٣ ، (سوريا : دار القلم ، ١٩٩٩) ؛ الخواص الشيخ العقاد ، الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية ، (بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٨) ؛ نادية شريف العمري ، الاجتهاد في الإسلام ، ط٣ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥) .

(٣٩) **أصول الفقه** : وهنا ينقسم هذا المفهوم الى قسمين من العلوم احدهما " علم الفقه " ، والآخر " علم الأصول " ، علم الفقه : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستمدة من أدلتها التفصيلية ، أو بعبارة أخرى و العلم الذي يبحث لكل عمل عن حكمه الشرعي و في اللغة : العلم بالشئ والفهم له ، وفي الاصطلاح هو : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية الصحيحة وفق أصول فقهية سليمة ... للمزيد ينظر : موسوعة دوائر معارف الفقه الإسلامي ، موسوعة الفقه الإسلامي آل البيت (عليهم السلام) ، (قم : مطبعة محمد ، ٢٠٠٢) ، ج١-١٢ ؛ باقر الإيرواني ، دروس في الفقه الإسلامي ، (بيروت : مطبعة الأمير ، ٢٠٠٨) ، ج١-٣ ؛ محمد صادق الشيرازي ، فقه الإمام الصادق (ع) ، ط٤ ، (قم : منشورات الاجتهاد ، ٢٠٠٥) ، ج١-٤١ . وإما علم الأصول : عرف بأنه " العلم بالقواعد الممهدة لاستنباط الحكم الشرعي " ... للمزيد ينظر : محمد حسن القديري ، المباحث في علم الأصول ، (قم : بوستان كتاب ، ٢٠٠٧) ؛ محمود الهاشمي ، بحث في علم الأصول ، ط٣ ، (بيروت : مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٥) ، ج١-٥ ؛ مهدي علي بور ، تاريخ علم الأصول ، (بيروت : دار الولا ، ٢٠١٠) ؛ شروح في علم الأصول ، ترجمة : الشيخ محمد شقير ، (بيروت : دار المحجة البيضاء ، ٢٠٠٩) .

(٤٠) **علم الكلام** : بأنه " العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات " ، وهو " أداة للدفاع عن العقائد وإثباتها تجاه من يدعي بطلانها " . ينظر : معن زيادة ، المصدر السابق ، مج١ ، ص ٦١٧ .

(٤١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٨٧ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨٧-٨٨ .

(٤٣) رسالة من الشيخ محمد عبده إلى الكونت دي جريفل ، مصر ، بتاريخ ٦ تموز ١٩٠٥ ؛ " المنار " ، المجلد الحادي عشر ، الجزء الثاني ، ١ نيسان ١٩٠٨ ؛ " المنار " ، المجلد الثالث والعشرين ، الجزء الثامن ، ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٢ .

(٤٤) **الفلسفة** : كلمة مشتقة من اللفظ اليوناني **فيلوصوفيا** (بالإغريقية: φιλοσοφία) ، بمعنى **محبة الحكمة** أو **طلب المعرفة** ، وعلى الرغم من هذا المعنى الأصلي ، فإنه يبقى من الصعب جدا تحديد مدلول الفلسفة بدقة ، لكنها بشكل عام ، تشير إلى نشاط إنساني قديم جدا يتعلق بممارسة نظرية أو عملية عرفت بشكل أو آخر في مختلف المجتمعات والثقافات البشرية منذ أقدم العصور . للمزيد ينظر : هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة : فؤاد زكريا ، (القاهرة : مطبعة مكتبة مدبولي ، ١٩٦٩) ؛ غوستاف لوبون ، فلسفة التاريخ ، ترجمة : عادل زعيتير ، (مصر : مطبعة دار المعارف ، ١٩٥٤) .

(٤٥) رسالة من الشيخ محمد عبده إلى الكونت دي جريفل ، مصر ، بتاريخ ٦ تموز ١٩٠٥ ؛ " المنار " ، المجلد الحادي عشر ، الجزء الثاني ، ١ نيسان ١٩٠٨ ؛ " المنار " ، المجلد الثالث والعشرين ، الجزء الثامن ، ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٢ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٣ .

(٤٦) كانت تعرف في الأصل بـ"ديوان المدارس" الذي أسس في عام ١٨٣٦ ، وفي عام ١٨٧٥ عرف هذا الديوان بـ " نظارة المعارف العمومية " . ينظر: عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، (الإسكندرية : د . مط ، ١٩٩٠) ، ص ٢٤٣ .

(٤٧) محمد عبده ، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٩ تشرين الثاني ١٨٨٠ ، العدد ٩٥٧ ؛ لإعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣١ .

(٤٨) قصد به " مدير المدرسة " .

(٤٩) قصد به " ساحة المدرسة " .

(٥٠) محمد عبده ، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٩ تشرين الثاني ١٨٨٠ ، العدد ٩٥٧ ؛ لإعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣١-٣٢ .

(٥١) لمعرفة واقع التعليم في المدارس في عهد محمد علي . ينظر: احمد عزت عبد الكريم ، التعليم في عهد محمد علي ، تقديم : محمد شفيق غريال ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨) .

(٥٢) محمد علي (١٧٦٩-١٨٤٩) : سياسي - عسكري الباني ، ولد في مدينة مقدونيا ، يعد مؤسس دولة مصر الحديثة ، شهدت مصر خلال مدة حكمه ما بين (١٨٠٥-١٨٤٨) نهضة إصلاحية على مختلف الصعد ... للمزيد ينظر: جمال بدوي ، محمد علي وأولاده ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩) ؛ حسين كفاي ، محمد علي ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢) ؛ سهير حلمي ، أسرة محمد علي ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣) ؛ عبد الرحمن الرفاعي ، عصر محمد علي ، ط ٥ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٩) ؛ إلياس الأيوبي ، محمد علي سيرته وأعماله ، (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٣٤) ؛ محمد فؤاد شكري ، بناء دولة مصر محمد علي " السياسة الداخلية " ، (القاهرة : دار الفكر ، ١٩٤٨) ؛ هنري دوديل ، محمد علي مؤسس مصر الحديثة ، تعريب : علي شكري واحمد عبد الخالق ، (القاهرة : د . مط ، د . ت) .

(٥٣) ((القرآن الكريم)) ، سورة الأنفال ، آية : ٦ .

(٥٤) محمد عبده ، المعارف ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٠ كانون الأول ١٨٨٠ ، العدد ٩٩٠ ؛ لإعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٣ .

(٥٥) قصد الشيخ محمد عبده " المدارس المسائية " .

(٥٦) أي بـ" اللغة الفرنسية " .

(٥٧) محمد عبده ، المعارف ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٠ كانون الأول ١٨٨٠ ، العدد ٩٩٠ ؛ لإعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٤ .

(٥٨) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٥-٣٦ .

(٥٩) محمد عبده ، المعارف ، ((الوقائع المصرية)) ، ٢٨ كانون الأول ١٨٨٠ ، العدد ٩٩٧ ؛ لإعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٣-٤٤ .

(٦٠) المصدر نفسه .

(٦١) هنا الشيخ محمد عبده أشار بجواب نظارة المعارف العمومية .

(٦٢) رسالة من الشيخ محمد عبده إلى الكونت دي جريفيل ، مصر ، بتاريخ ٦ تموز ١٩٠٥ ؛ " المنار " ، المجلد الحادي عشر ، الجزء الثاني ، ١ نيسان ١٩٠٨ ؛ " المنار " ، المجلد الثالث والعشرين ، الجزء الثامن ، ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٢ ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨٢ .

(٦٣) ((الوقائع المصرية)) ، كانون الأول ١٨٨٠ ، العدد ٩٩٣ .

(٦٤) عبد الله فكري (١٨٣٤-١٨٨٩) : هو عبد الله فكري "باشا" بن محمد بليغ ابن عبد الله بن محمد ، وزير مصري ، من المتأدبين ، ولد بمكة وكان والده قد ذهب إليها مع جيش محمد علي باشا ، ونشأ في القاهرة ، وتعلم في الجامع الأزهر ، كان وكيلاً لنظارة المعارف العمومية ، فكاتباً أول في مجلس النواب المصري ، فناظراً للمعارف العمومية المصرية سنة ١٨٨١ واستقال بعد أربعة أشهر ، وأتهم بالاشتراك في الثورة العربية وسجن ثم وبرئ ، اختير سنة ١٨٨٨ رئيساً للوفد العلمي المصري في مؤتمر استوكلهم ، له كتب ،

منها: " الفوائد الفكرية " و" المملكة الباطنية " و" شرح بديعية صفوت " ورسائل ومقالات ، توفي في القاهرة . ينظر: جرجي زيدان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٠-٣٦٧ .

(٦٥) محمد عبده ، المعارف ، ((الوقائع المصرية)) ، كانون الأول ١٨٨٠ ، العدد ٩٩٣ ؛ لإعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤١ .

(٦٦) **الأرنأوط** : وتعرف بـ" **الأرنأوط - الأرنأوطي** "، أسرة بيرونية إسلامية ، أصلها من ألبانيا ، وأطلقت الدولة العثمانية على كل من جاء من ألبانيا اسم الأرنأوط ، وكانوا من المقاتلين الأشاوس في الجيش العثماني ، وانتشروا في مصر وبلاد الشام . ينظر: محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، (بيروت : دار الفكر ، ٢٠٠٥) ، مج٢ ، ص ٤٦٠-٤٦١ .

(٦٧) **الجبر** : في اللغة "خلاف الكسر" ، وفي اصطلاح الرياضيين معناه: " نقل الكمية السالبة من احد طرفي المعادلة إلى الطرف الثاني وقلبها إلى كمية موجبة " ، و" الجبرية " مذهب ترى إرادة الإنسان العاقلة عاجزة عن توجيه الحوادث وان كل ما يحدث للإنسان قد قدر عليه أزلا . ينظر: جميل صليبا ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٨٨-٣٨٩ ؛ معن زيادة وآخرون ، الموسوعة الفلسفية العربية ، (بيروت : معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٨) ، مج٢ ، القسم الأول ، ص ٤٥٠ .

(٦٨) **الخدوي عباس حلمي الأول (١٨١٣-١٨٥٤)** : هو ابن أحمد طوسون باشا بن محمد علي باشا ، لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته ، ولم يشبه عمه إبراهيم باشا في عظمته وبطولته ، بل كان قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاه خلوا من المزايا والصفات التي تجعل منه ملكا عظيما يضطلع بأعباء الحكم ويسلك البلاد سبيل التقدم والنهضة ، ولد بمدينة ثم انتقل لاحقا إلى القاهرة ، بذل جده محمد علي شيئا من العناية في تعويده ولاية الحكم ، إذ كان أكبر أفراد الأسرة سنا وأحقهم بولاية الحكم بعد عمه إبراهيم باشا ، فعهد إليه بالمناصب الإدارية والحربية ، فتقلد من المناصب الإدارية منصب مدير الغربية ، ثم منصب " **الكتخداية** " التي كانت بمنزلة رئاسة الناظر ، ولم يكن في إدارته مثالا للحاكم البار بل كان له من التصرفات ما ينم عن القسوة ، حاكم مصر بين عامي (١٨٤٨ - ١٨٥٤) ، وأعتبر البعض عهده عهد رجعية ، توقفت فيه حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد جده محمد علي باشا ... للاستزادة . ينظر: جرجي زيدان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٧-٥٩ .

(٦٩) **الخدوي محمد سعيد (١٨٢٢-١٨٦٣)** : والي مصر من سلالة الأسرة الخديوية ، تولى الحكم في عام ١٨٥٤ وعزل في عام ١٨٦٣ تحت حكم الدولة العثمانية ، تلقى تعليمه في باريس وكان ذو نزعة غربية ، ومن أهم الأعمال في عهده " تأسيس البنك المصري في عام ١٨٥٤ " و" إعطاء فرديناند دي لسبس الموافقة على حفر قناة السويس " و" تطهير ترعة المحمودية " و" إتمام سكة حديد القاهرة - الإسكندرية " وغيرها ، خاضت مصر في عهده حربيين هما : " حرب القرم " و" حرب المكسيك " ... للمزيد . ينظر: المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٥٩-٦١ .

(٧٠) **الخدوي إسماعيل (١٨٣٠-١٨٩٥)** : هو إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، ولد في قصر المسافر خانه ، وكان الابن الأوسط بين ثلاثة أبناء لإبراهيم باشا ، تعليم في باريس عاد إلى مصر وأصبح وريثا شرعيا للعرش ، تولى الحكم بعد وفاة الخديوي محمد سعيد باشا في عام ١٨٦٣ إلى أن خلعه بريطانيا عن العرش في عام ١٨٧٩ ، وخلال حكمه أعطى مصر دفعة قوية للمعاصر ، وفي عام ١٨٦٧ حصل علي لقب خديوي من السلطان العثماني بموجب فرمان مقابل زيادة في الجزية ، وتم بموجب هذا فرمان أيضا تعديل طريقة نقل الحكم لتصبح بالوراثة لأكبر أبناء الخديوي سنا ، كما حصل عام ١٨٧٣ على فرمان آخر يتيح له استقلال أكثر عن الدولة العثمانية وعرف بـ" **الفرمان الشامل** " ، ومنحه حق التصرف بحرية تامة في شؤون الدولة ما عدا عقد المعاهدات السياسية ، وعدم حق التمثيل الدبلوماسي ، ومع الالتزام بدفع الجزية السنوية ، وفي عهده شهدت مصر تقدما في كافة مجالات الحياة . ينظر: حسين كفاي ، الخديوي أسماعيل ومعشوقته مصر ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧) ؛ عبد الرحمن الرافعي ، عصر أسماعيل ، ط٤ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٧) ، ج١-٢ ؛ اليأس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي أسماعيل باشا ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦) ، مج١-٢ ؛ رمزي سيف رزق الله ، أثر إسماعيل باشا في الإصلاح القضائي ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥) ؛ هادي جبار حسون ، الخديوي إسماعيل ودوره الإداري والسياسي (١٨٦٣-١٨٧٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة ديالى : كلية التربية ، ٢٠٠٦) .

(٧١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١٥-١١٦ .

(٧٢) نشأت أول " مدرسة ابتدائية " في مصر عام ١٨٣٢ ، وبعد ثلاث سنوات ازدادت أعدادها نحو (٦٧) مدرسة ابتدائية عام ١٨٣٥ ، وكان التعليم فيها مجانا ، وتعمل على تقديم الغذاء واللوازم المدرسية مجانا . ينظر: رنا جبوري موسى العيساوي ، علي مبارك ودوره الفكري والإصلاحي في مصر (١٨٢٣-١٨٩٣) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة القادسية : كلية التربية ، ٢٠١٣) ، ص ١٢ .

(٧٣) تأسست أول مدرسة تهتم بدرسة الهندسة وغاياتها في مصر عام ١٨١٥ ، والتي عرفت بـ " مهندسخانه " (مدرسة الهندسة) . ينظر: المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٧٤) تأسست أول مدرسة تهتم بدرسة الزراعة وغاياتها في مصر عام ١٨٣٣ ، تعرف بـ " مدرسة الزراعة " . ينظر: المصدر نفسه .
(٧٥) وأبرز المدارس الصناعية المؤسسية في مصر هي : مدرسة " المعادن " عام ١٨٣٤ ، ومدرسة " الفنون والصنائع " عام ١٨٣٧ . ينظر: المصدر نفسه .

(٧٦) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٠-١٢٢ .
(٧٧) وتعرف أحيانا بـ " المدارس الثانوية " ، تهدف هذه المدارس إلى إعداد التلاميذ وتهينتهم للدراسة الخصوصية ، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات ، وأبرز هذه المدارس هي " المدرسة التجهيزية " التي تأسست في القصر العيني عام ١٨٢٥ . ينظر: رنا جبوري موسى العيساوي ، المصدر السابق ، ص ١٢ ؛ جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث ، ط٣ ، (القاهرة : د . مط ، ١٩٢٥) ، ص ١٩٤ .

(٧٨) وتطلق عليها بـ " المدارس الخصوصية " ، تأسست أولى المدارس على هذا النمط في مصر عام ١٨١٦ ، وأبرز هذه المدارس هي : مدرسة " الطب " ومدرسة " الهندسة " وغيرها . ينظر: رنا جبوري موسى العيساوي ، المصدر السابق ، ص ١١ .
(٧٩) الشطط : معناها " البعد " ، و تشطط تعني : " لا تبعد عن الحق " ينظر: مجدي الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مراجعة : الدكتور محمد الإسكندراني ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ٢٠١٠) ، ص ٧٢٤ .

(٨٠) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٢-١٢٣ .
(٨١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١١٩ .

(٨٢) قصد الشيخ محمد عبده " نظارة المعارف العمومية " .
(٨٣) قصد به " دائرة الأوقاف الدينية " في مصر .
(٨٤) سنتحدث عن الجامع الأزهر لاحقاً .

(٨٥) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١٩-١٢٠ .

(٨٦) وأبرز المدارس العسكرية التي تأسست في مصر مدرسة " أسوان " أسسها محمد علي لتكوين جيشه ، ومدرسة " البيادة " في عام ١٨١٦ ، ومدرسة " أركان الحرب " عام ١٨٢٥ ، ومدرسة " السواري " عام ١٨٣٠ ، ومدرسة " الطوبجية " عام ١٨٣١ . ينظر: رنا جبوري موسى العيساوي ، المصدر السابق ، ص ١١٥ . للتفاصيل عن الجيش المصري ومدارسه العسكرية . ينظر: عبد الرحمن زكي ، تاريخ جيش مصر ، (القاهرة : مطبعة الأنجلو المصرية ، ١٩٤٠) ؛ عمر طوسون ، الجيش المصري البري والبحري ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦) ؛ عمر طوسون ، الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي ، ط٢ ، (الإسكندرية : مطبعة طلاح الدين الكبرى ، ١٩٣٢) .

(٨٧) تعني " سفساف " : الرديء من كل شيء . ينظر: مجدي الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ، المصدر السابق ، ص ٨٨١ .

(٨٨) الملة : هي جماعة دينية من الناس تنظمهم رابطة مذهبية واحدة ، بغض النظر عن الجنس واللغة والقومية ، ويخضع أفرادها إلى زعيم روحي ينتخب من قبلهم ، أطلق من قبل العثمانيين وبالأخص عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) على المسلمين للتمييز عن غيرهم . ينظر: هاملتون جب وهارولد بوون ، المجتمع الإسلامي والغرب واثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي والشرق الأدنى ، ترجمة : عبد المجيد حبيب القيسي ، (دمشق : دار المدى ، ١٩٩٧) ، ج١ ، القسم الثاني ، ص ٢٤٧ ؛ " القدس الشريف " ، (مجلة) ، القاهرة ، العدد (٢٠) ، تشرين الثاني ١٩٨٦ ، ص ٥٦ ؛ احمد حامد إبراهيم القضاة ، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٧) ، ص ٦٣-٦٥ .

(٨٩) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٧٧-٨٧ .

- (٩٠) للاطلاع على واقع التعليم الأجنبي في مصر . ينظر: جرجس سلامة ، التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين (الميلادين ، القاهرة : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، ١٩٦٣) .
- (٩١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٧٧ .
- (٩٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١١٦-١١٧ .
- (٩٣) **الجامع الأزهر** : هو من أهم الجوامع في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي ، بناه جوهر الصقلي عندما تم فتح القاهرة في سنة ٩٧٠م بأمر من المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر ، وبعدما أسس مدينة القاهرة ، ووضع هذا الخليفة حجر أساس الجامع الأزهر في ١٤ رمضان سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م ، وأتم بناء المسجد في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م ، فهو بذلك أول جامع أنشئ في مدينة القاهرة المدينة واكتسبت لقب مدينة الألف مئذنة ، واختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع ، والراجح أن الفاطميين سموه بالأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء (ع) ابنة النبي محمد (ص) ، وبعد الانتهاء من بناء المسجد في سنة ٩٧٢م ، تم توظيف (٣٥) عالم فيه من قبل السلطات ، وعد جامعة قائمة تعرف بـ "جامعة الأزهر" لدراسة المذهب السني والشريعة المحمدية و القانون الإسلامي ، وعينت رسميا جامعة مستقلة في عام ١٩٦١ ... لمعرفة التفاصيل . ينظر: عبد العزيز محمد الشناوي ، الأزهر جامعا وجامعة ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣) ، ج١-٢ ؛ وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر ، الأزهر تاريخية وتطور ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٤) ؛ عبد العزيز محمد الشناوي ، صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر ، (القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١) ؛ محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر ، ط٢ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٥٨) ؛ عبد العزيز محمد الشناوي ، مقاومة الأزهر لحملات الغزو الأجنبي لمصر في العصر الحديث حتى ١٩١٩ ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤) ؛ عبد المتعال الصعيدي ، تاريخ الإصلاح في الأزهر ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٥٨) .
- (٩٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٧٧ .
- (٩٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧٨ .
- (٩٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨٠-٨١ .
- (٩٧) **تجد** الشيخ محمد عبده يطلق عليه أسم "مدرسة" أو "جامع" .
- (٩٨) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١٧-١١٨ .
- (٩٩) **مقدمة بن خلدون** : كتاب ألفه ابن خلدون سنة ١٣٧٧م ، وذات طابع موسوعي ، تناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد وال عمران والاجتماع والسياسة والطب ، وفيه أحوال البشر واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان ، وكما تناول بالدراسة تطور الأمم والشعوب ونشوء الدولة وأسباب انهيارها مركزا في تفسير ذلك على مفهوم العصبية ، بهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء والأفكار ، في مفهوم نشأة الدولة وسقوطها وواقع الشعب فيها ، وتتكون من ست أبواب هي: "الباب الأول: في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض - الباب الثاني: في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية - الباب الثالث: في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية - الباب الرابع: في العمران الحضري والبلدان والأمصار - الباب الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه - الباب السادس: في العلوم واكتسابها وتعلمها" . ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : إيهاب محمد إبراهيم ، (القاهرة: مكتبة ابن سينا ، ٢٠٠٩) .
- (١٠٠) **بن خلدون (١٣٢٢-١٤٠٦)** : هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، مؤرخ عربي ، تونسي المولد أندلسي الأصل ، وعاش في أقطار شمال أفريقيا ، رحل إلى بسكرة و فاس و غرناطة و بجاية و تلمسان و الأندلس ، كما توجّه إلى مصر ، حيث أكرمه سلطانها الظاهر بركات ، وولّي فيها قضاء المالكية ، وظلّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ) ، إذ توفّي عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر في شمال القاهرة ، تاركا تراثا مازال تأثيره ممتدا حتى اليوم وعلى سبيل المثال تاريخ ابن خلدون واسمه "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ، و "شفاء السائل لتذهيب المسائل" ، و "مقدمة ابن خلدون" ، و "التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقا وغربا (مذكراته)" ، وعد ومؤسس علم الاجتماع الحديث ... للتفاصيل . ينظر: موسوعة العلامة ابن خلدون ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩٩) ، مج١-١٤ ؛ عبد

المنعم الهاشمي ، موسوعة العلماء والعابرة المسلمين ، (بيروت : مكتبة الهلال للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨) ، ص ٥٣-٧٤ ؛ محمد مختار جمعة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩-٣٣٣ ؛ محمد عابد الجابري ، فكر بن خلدون ، ط ٥ ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٢) ؛ محمد بن عبد الله عنان ، ابن خلدون وراثته الفكرية ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣) ؛ طاهر عبد المجيد ، الفلسفة الإسلامية ، (مصر : مطبعة التآليف ، ١٩٦٩) ، ص ٩٧-١٠٥ .

(١٠١) **التصوف** : من حيث اللغة : كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف عند المسلمين على عدة أقوال ، منها **الصوفية** : لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة ، لاستسلامه لله تعالى ، ومن **الصفة** : إذ أن التصوف هو اتصاف بمحاسن الأخلاق والصفات ، وترك المذموم منها وغيرها ، وأصطلاحاً هو : العلم الذي تعرف به أحوال تركية النفوس ، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ، والمستشرقين يرون أن كلمة " صوفي " مأخوذة من (صوفيا) اليونانية بمعنى : الحكمة ، وعندما فلسفت العرب عبادتهم حرفوا الكلمة وأطلقوها على رجال التعبد والفلسفة الروحية ، أو مأخوذة من (ثيوصوفيا) بمعنى : الإشراق أو محب الحكمة الإلهية ، بسبب المشابهة الصوتية بين كلمة (صوفي) والكلمة اليونانية (صوفيا) ، وكذلك لوجه الشبه الموجود بين كلمة (تصوف) و (ثيوصوفيا) ، وأن كلمتي صوفي وتصوف أخذتا من الكلمتين اليونانيتين (سوفيا) و (ثيوسوفيا) للاستزادة . ينظر : محمد علي باقري ، مذكرات في العرفان والتصوف ، (بيروت : دار المحجة البيضاء ، ٢٠١٣) ؛ أبي العباس أحمد بن أحمد زروق ، قواعد التصوف ، تحقيق : عبد المجيد خيالي ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٥) ؛ أحمد النقشبندى الخالدي ، معجم الكلمات الصوفية ، تحقيق : أديب نصر الدين ، (بيروت : دار الانتشار العربي ، ١٩٩٧) ؛ عبد الرزاق أحمد القاشاني ، اصطلاحات التصوف ، تحقيق : محمد كمال إبراهيم جعفر ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١) ؛ أحمد النقشبندى الخالدي ، الطرق الصوفية ، تحقيق : أديب نصر الدين ، (بيروت : دار الانتشار العربي ، ١٩٩٧) ؛ أبي بكر محمد بن إسحق الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣) ؛ حسن حنفي ، من الفناء إلى البقاء " محاولة لإعادة بناء علوم التصوف ، (طرابلس : دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٩) ، ج ١-٢ ؛ توفيق الطويل ، التصوف في مصر أبان الحكم العثماني ، (القاهرة : مكتبة الآداب ، د . ت) .

(١٠٢) **الإعمال الكاملة للإمام محمد عبده** ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩١ .
(١٠٣) **المصدر نفسه** ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .
(١٠٤) **المصدر نفسه** ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
(١٠٥) **المصدر نفسه** ، ج ٣ ، ص ١١٨-١١٩ . للاطلاع على المزيد من رؤى الشيخ محمد عبده الإصلاحية تجاه الجامع الأزهر . ينظر : **المصدر نفسه** ، ج ٣ ، ص ٢٠١-٢٠٧ .

(١٠٦) **مدرسة دار العلوم** : إحدى المدارس الحديثة في مصر ، أسسها علي مبارك في عام ١٨٧٢ ، كانت في الأصل مكان أو قاعة للتدريس ، حتى عرفت بـ "كتابخانه" أو "محل التدريس" ، اشتملت بتدريس شتى الفنون والعلوم الإنسانية والطبيعية والجغرافية والعلوم الدينية وغيرها . للتفاصيل . ينظر : رنا جبوري موسى العيساوي ، المصدر السابق ، ص ٨٣-٨٤ .

(١٠٧) **علي مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣)** : تلقب بـ "أبو التعليم" ، مؤرخ وتربوي مصري تعلم في القاهرة وفرنسا ، من أعمدة النهضة المصرية الحديثه ، عندما رجع من فرنسا إلى بلده وأندرج بين المناصب الإدارية والتعليمية ، فبذل جهد كبير في تجميل القاهرة و تطوير التعليم وتوسيعه ، انشأ "المكتبة الخديوية" و "مدرسة دار العلوم" ، ألف كتاب مهم من عشرين مجلد عنوانه "الخطط التوفيقية الجديدة لمصر و القاهرة و مدنها و بلادها القديمة والشهيرة" كتكملة لخطط المقرري ، وكتب رواية تعرف بـ "علم الدين" وغيرها ... للتفاصيل . ينظر : حسين فوزي النجار ، علي مبارك أبو التعليم ، (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) ؛ محمد عمارة ، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران ، (القاهرة : دار المستقبل ، ١٩٤٨) ؛ رنا جبوري موسى العيساوي ، المصدر السابق ، ص ١-١٨٢ ؛ سعيد زيدان ، علي مبارك وأعماله ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٧) ؛ علي بركات ، رؤية علي مبارك لتاريخ مصر الاجتماعي ، (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام ، ١٩٨٢) ؛ محمد أحمد خلف الله ، علي مبارك وآثاره ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٧) .

(١٠٨) **الإعمال الكاملة للإمام محمد عبده** ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٣-١٢٤ ، ١٨٠ .

(١٠٩) **المصدر نفسه** ، ج ٣ ، ص ١٢٤ .

- (١١٠) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٢٥-١٢٦ .
- (١١١) قصص الشيخ محمد عبده تعيين " مدير " للمدرسة .
- (١١٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٦ .
- (١١٣) خطبة الشيخ محمد عبده في مناسبة أداء الامتحان لمدرسة القاهرة ، إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، سنة ١٩٠٠ م .
- (١١٤) خطبة الشيخ محمد عبده في مناسبة افتتاح مدرسة في مبنى مديرية محافظة أليينا ، إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، سنة ١٩٠٤ م ؛ " المنار " ، (مجلة) ، مصر ، الجزء الرابع عشر ، ١٦ رجب ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م .
- (١١٥) خطبة الشيخ محمد عبده في مناسبة أداء الامتحان لمدرسة القاهرة ، إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، سنة ١٩٠٢ م .
- (١١٦) المصدر نفسه ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٧٥ .
- (١١٧) خطبة الشيخ محمد عبده في مناسبة أداء الامتحان لمدرسة القاهرة ، إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، سنة ١٩٠٢ م .
- (١١٨) خطبة الشيخ محمد عبده في مناسبة افتتاح المدرسة الابتدائية ، إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، سنة ١٩٠٤ م .
- (١١٩) المصدر نفسه ؛ خطبة الشيخ محمد عبده في مناسبة افتتاح مدرسة في مبنى مديرية محافظة أليينا ، إحدى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، سنة ١٩٠٤ م ؛ " المنار " ، الجزء الرابع عشر ، ١٦ رجب ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م ؛ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٧٧ ، ١٨٠ .

ABSTRACT

Glances of Mohammed Abda reforming Visions in Education and Learning

In the recent time , Historical-Academic studies have been increased which deal with the study of modern Egypt history within 19th century A.D. in Iraqi universities , In spite of this wordiness but it was somehow ambiguous , not just in social , economical and political sides in Khedive reign but in studying the pioneers of reform and modern renewal movement and the effect of their arguments inside the country . In this context, Sheikh Mohammed Abda raised whose his theses and his renewal-reform visions in field of Egyptian education and learning and what he had done in educational association . It had obvious and touchable effect on reality in this field in Egypt. This main motive has actually formed in choosing the subject.

This study has included four pivots preceded by an introduction and followed by a conclusion. First pivot entitled (His Reform Visions in Education) has studied the reforming visions for Sheikh Mohammed Abda towards education regarding educating the Egyptian pupil is good for morals which qualifying him to choose what he liked of sciences and jobs. So he would do his best with all his desire .But if the pupil was educated incorrectly, he would not gain any kind of science , in other words , focusing on religious Islamic education for the pupil . Second pivot entitled (His Reform Thoughts in Teaching) Sheikh Mohammed Abda concentrated on teaching the Egyptian pupil with all kinds of sciences and arts with mixture of these sciences with religious instructions and its morals . After dividing the teaching in Egyptian society into three classes in order to encourage the learners' hearts with love of religion and respect because teaching in most of advanced sciences especially in morals would give good meanings to hearts to be shaken and make them leave laziness and inattention to awareness and attention.

Third pivot (Sheikh Mohammed Abda and his looks of public knowledge) was interested in explaining Sheikh Mohammed Abda point of view towards the look of knowledge one time and his hard work to reform it in another time because its reform and adjusting it considered a reform for teaching and education in Egypt since it represented the top of pyramid in educational process. Fourth pivot entitled (Official and Private Educational Associations from Sheikh Mohammed Abda point of view.) focused on

reform directions and visions for Sheikh Mohammed Abda towards governmental and private schools , Islamic schools and Al-Azher Mosque and showing weakness points and defect and presenting suitable solutions for it.

The researcher has taken the references of the study from speeches , articles and letters of Sheikh Mohammed Abda and his full series of works which included five parts especially third part that included intellectual and educational reform besides the researcher has picked up his information from academic theses contents and Arabic books , moreover ; reinforcing it with dictionaries , encyclopedias and periodical works " newspapers and magazines " issued in the country at that time particularly the periodical works that published the speeches and some of their pages were for Sheikh Mohammed Abda articles such as " Egyptians Realities Newspaper " and " Al-Manar magazine " . Both of them have reform – renewal visions and thoughts for Sheikh Mohammed Abda in education and learning in Egypt . The researcher has taken information from internet and others to enrich and investigate the content of the research .